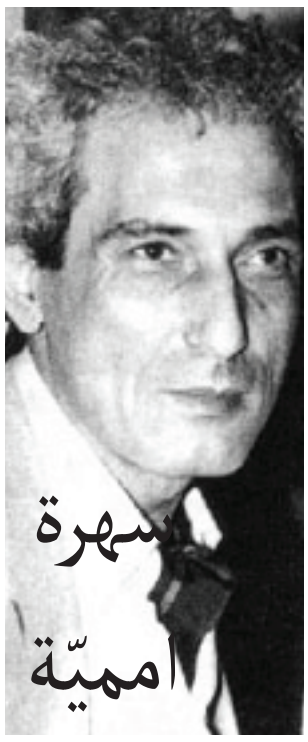

رمان

الافتتاحية: تورطوا.. ومشي الحال

ثقافية فنية فلسطينية – شهرية | تحرير وإخراج فني: سليم البيك | العدد الخامس/حزيران ٢٠١٠

romman.saleem@gmail.com | http://www.horria.org/romman.htm

الفنون

كولاج الفنون «الأولى» - سمر حزبون

رقصة المفاتيح، من عرض «حيفا ، بيروت وما بعد...»، رام الله ٢٠٠٣ – ستيف سابيلا

الافتتاحية

تورطوا.. ومشي الحال

يبدو أنني ورّطت نفسي في هذه الرمان، ويبدو أنني أورّط آخرين بها، تماما كالشيطان الرجيم. وتوريط هؤلاء «الآخرين» يجرّ توريطا أفدح هو توريط «آخرين» آخرين. أما أول «آخرين» فهم المشاركين في صناعة رمان والذين ستقرؤون أسماءهم بشكل دوريّ، أما «الآخرين» الآخرين فهم القرّاء.

والمورَّطون المتورّطون، فعلاً، برمان وأعدادها اللاحقة، وبعضهم في بعض السابقة، سيكونون الصانعين الحقيقيين لاسم هذه الجريدة الوليدة وسيكونون هم الأسباب الحقيقية لتسارع انتشارها المتوقّع، والأسماء التي «ثبت إدانتها» حتى الأول من حزيران هي:

رفيا سليمان: لن تكون مشاركتها في هذا العدد هي الأولى لها، وستقرؤون اسمها في مواد ستكون في أغلبها مواضيع غلاف، وقد تتركّز في حوارات خاصة مع شخصيات أساسية في ثقافتنا وفننا الفلسطينيين. ستكون رفيا إذن صاحبة المادة الأهم التي تقوم عليها الأعداد، والتي تقوم رفيا على إعدادها وتحريرها. وفي هذا العدد أعدّت رفيا حوارا وملفا واسعا عن «فرقة الفنون» ستُحسد رمّان عليه (وعلى رفيا) بشدّة من زميلاتها الكبيرات.

راجي بطحيش: حذّرني راجي بأنه متّهم بمحاولة تفكيك المسلّمات الفلسطينية- وهو فعلا كذلك- وأجبته بأني أتمنى أن تثبت عليه التهم وتتفاقم «بعد أكم مقالة برمان». في عمود شهريّ سيهدم راجي مفاهيم وسيعيد بناء أخرى، وستقرؤون مقالته مرّتين، وستتمتمون: بصرش هيك، إيش هاد.

علاء أبو دياب: علاء الذي بدأ بكتابة- أو حكي- عموده قبل عددين، يكتبه بالعامية- أو يحكيه- وينتقد بعض «الحالات» الثقافية في فلسطين ويسخر منها، ودون أن يزعل أحد، دخيلكم. علاء اللي في قلبه ع لسانه واللي في لسانه ع كيبورده، والله يستر.

أحمد دغلس: لعله أحد أنشط المصوّرين للفعاليات الثقافية والفنية في الضفة، وزوّد رمّان وسيزوّدها بصورٍ خاصة تُرفق مع مواد متنوّعة، وقد أسس أحمد مؤخرا وكالة باسم Creative Images وهي تحوي صورا مميّزة لكافة نواحي الحياة هناك.

تورّط رفيا وراجي وعلاء وأحمد بخيار طوعي حر، لا أدري إن كان يحقّ لي أن أشكرهم على ذلك، فرمّان لن تعود تعنيني وحدي، هم من سيصنعونها، مع أسماء أخرى ستنضم للجريدة، وأنا فقط سأشاركهم هذه الصناعة.

فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية

مشوار بلا حدود من الإبداع والحب والتمرّد والجمال..

حوار وإعداد: رفيا سليمان

تأسست فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية عام ١٩٧٩ بجهود نخبة من فنانين وفنانات من فلسطين جمعهم عشق الفن والتراث والإبداع بلا حدود وتوارثوا هذا العشق الأبدي من جيل إلى جيل وأعلنوا التمرد على واقع لم يتوان عن محاولاتً النيل من الحالة الثقافية والفنية في فلسطين. تقول السيدة سهى البرغوثي، عضو مجلس أمناء الفرقة (نقلاً عن إحدى المقالات): "ما لا يعرفه الكثيرون أن حلم تأسيس هذه الفرقة بدأ بأربعة شبان كانوا يدبكون في علية بيت أحدهم لعدم وجود مكان آخر يذهبون إليه: محمد عطا، وسيم الكردي، محمد يعقوب، وماهر السلوادي". اليوم يبلغ عدد أعضاء فرقة الفنون ١٢٣ عضواً، بين راقصين ومصممين وموسيقيين وإداريين وتحتل 'الفنون' مكانة إبداعية لا تقل أهمية عن تلك التي تحتلها فرقة كركلا العربية العريقة في عالم الاستعراض الغنائي.

في يوبيلها الفضي عام ٢٠٠٤، دعا المفكر العربي عزمي بشارة مؤسسة فرقة الفنون في كلمة حيّاهم فيها إلى "الاحتفال بأنفسهم دون تأنيب ضمير"، ودعا الشعب الفلسطيني كافة بالاحتفاء بفرقة الفنون كمؤسسة فنية عريقة. وقد احتفلت فرقة الفنون مؤخراً بعامها الـ٣١ وقدمت أحدث أعمالها الفنية 'صور وذاكرة' في قصر رام الله الثقافي بحضور نخبة من الفنانين والأدباء والمفكرين الفلسطينيين وجمهور فلسطيني دائم التعطش لكل جديد تحمله 'الفنون' في جعبتها.

رمّان حضرت عرض 'صور وذاكرة' في رام الله، والتقت الفنان خالد قطامش مدير أعمال الفرقة ومصمم رقصاتها في مكتب الفرقة بمدينة البيرة وتحدثت معه عن المشوار الطويل.. خالد من أبناء قرية المالحة (قضاء مدينة القدس) المحتلة منذ عام ١٩٤٨، وولد وعاش في مدينة البيرة. نبارك لفرقة الفنون الشعبية الفلسطينية عامها الواحد والثلاثين ونتمنى لها مزيداً من التألق والنجومية في فضاءات الإبداع الفلسطيني والعربي والعالمي.

تتألف فرقة الفنون من ١٢٣ عضو.. جميعهم من المتطوعين؟

تقريباً.. لدينا ٨٠ راقص وراقصة والبقية هم بين أعضاء إداريين ومغنيين وموسيقيين. نحرص دائماً على تطوير الراقصين كونهم الشريان الأساسي للفرقة، وهم حوالي ٣٠ عضواً تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٣٠ عاماً و٥٠ عضواً من اليافعين بين ١٠ إلى ١٦ أو ١٧ عام ونطلق عليهم اسم "البراعم". كلهم متطوعون ما عداي حيث تفرغت للجانب الإداري في الفرقة منذ عام ١٩٩٦ واعتزلت الرقص منذ ستة أشهر فقط، ولكنني لا زلت أعمل على التصميم والتدريب، ولدينا صبيّة تعمل في الإدارة بدوام جزئي وقمنا هذا العام بتفريغ أحد الأعضاء للعمل على الجانب الفني للفرقة بدوام جزئي.

ينتابني الفضول حول تلك الروح التي خلقتموها ليمنحكم الأعضاء بالمقابل ما يمنحونكم؛ حب غير مشروط، عطاء بلا حدود، وانتماء فريد من نوعه..

هناك أكثر من جانب ساهموا في جعل 'فرقة الفنون' مختلفة وفريدة في مجال التطوع، فقد فرضنا وجودنا بالتجمعين الثقافيين العربي والفلسطيني ونشعر بانبهار الجميع من الجانب التطوعي لدى الفرقة وخاصة من خلال تواصلنا مع الإثني عشرة مؤسسة التي تعنى بالثقافة والفنون في العالم العربي في سوريا،

من عرض «الحرية نرقص» رام الله ٢٠٠٦ - أسامة السلوادي

الأردن، لبنان والمغرب.

إلى الآن لم يصل مفهوم التطوع في المنطقة العربية إلى ما هو عليه في فلسطين، فقد لعبت الفصائل الفلسطينية دوراً أساسياً في هذا المجال حين كانت لدى كل الفصائل منذ الثمانينات أعمالاً تطوعية ميدانية وأطر جماهيرية متطوعة، مما كوّن فكراً وثقافة معينة لدى أبناءِ فلسطين وليس فقط أعضاءِ الفرقة، لكن مع التطلعات السياسية لدى كل فصيل والدخول في ما يسمى بعملية السلام (بين قوسين!) طغت التوجهات المادية وبات العمل التطوعي ثانوياً بسبب الارتزاق والـ"شحدة" المبرمجة والتسول الشرعي والممارساتِ الاستعطافية باسم الشعب الفلسطيني، وفي ظل هذا وذاك تمكنت الفرقة من الحفاظ على روحها من خلال اتباع خط وطني عام ونظيف بشكل لم يسمح للشوائب باختراقها ونبعت استمراريتها من الانتماءِ لفكرتها، فالناس تتابع عروض الفرقة وتنبهر بها ولكن ما نعرضه للجمهور هو أسلوبنا في التنمية، التغيير، التنوير والنضال الذين نمارسهم في المجتمع عن طريق الإبداع الذي نقدمه في فضاءات الفنون والإبداع، فنحن عملياً لسنا فرقة فنية تعمل من أجل الفن فحسب، ومن هنا ظهر العديد ممن آمن بهذه الفكرة وبمظلة فرقة الفنون وبكل المنتمين لها؛ كل له أشغاله واهتماماته السياسية والاجتماعية والثقافية لكن في نهاية المطاف هنالك ما يسمى 'فرقة الفنون' وهو الذي يجمعنا معاً بصرف النظر عن الانتماءات والتوجهات السياسية، ففي فترة الانتخابات مثلاً كل عضو من أعضاءِ الفرقة الذين يرتادون الجامعات ينتخب من يرغب بمطلق الحرية، لكن بمجرد دخولهم لقاعة التدريب نعود لنصبح عائلة واحدة اسمها 'الفنون'. قد يكون هذا هو ما دفع الجيل السابق بالفرقة ليناضل من أجل بقائه من خلال ما يقدم وما يمارس من أنشطة تطوعية وتدريب وأمور مختلفة بالمجتمع على صلة بالثقافة والفنون والإبداع إجمالاً.

الأمر الآخر هو مبدأ وثقافة احترام الفرد ضمن سياق الجماعة.. هنالك نظرة دائماً لدى الفنانين –ودائماً ما تدخلنا في معارك– وهي أن الفن ذاتي وفردي. لا مشكلة لدينا بهذا الخصوص ونحترم آراءِ الجميع والواقع السائد، لكن تبقى تجربة 'الفنون' فريدة من نوعها ودائماً ما لديها شي مختلف لتقوله. يريدون اعتبارها تجربة شاذة؟ فليكن! فرقة الفنون عمل جماعي وإبداعي يظهر في إطار محترم للغاية؛ في السياق العام هناك عبد الحليم كركلا، سعيد مراد، سهيل خوري... كل الاحترام لهم جميعاً ولكن هناك ما يسمى بفرقة 'الفنون' ولا أحد من أعضائها يبرز بصفته الشخصية؛ من أنا؟ مش كتير مهم! تبقى الفرقة ككيان هي الأبرز مما جعل الكثيرين يكنون احتراماً لإبداعاتنا.

لا زال هناك أناس عاطفيون تجاه الفلكلور ويرفضون فكرة التنويع والتمازج الفلكلوري

التناقض مهم وضروري لكن عند ظهور العمل يبقى الجهد الجماعي هو الأفضل وهذا ما كان يحدث مع 'الفنون' ولهذا لم تُصب الفرقة بأي توعك أو تراجع على مدى ٣١ سنة، بل مضت في رسالتها وبقيت تكمل المسير إلى الأمام رغم مغادرة عشرات الكوادر للفرقة مما يثبت أنها لم تكن يوماً معتمدة على شخص بحد ذاته؛ إن تركت أنا الفرقة غداً ستأتي صبية أو شاب ناضجين وسيتمكن أياً كان من قيادة الفرقة بكل سهولة، فليس هناك تشبث بموضوع القيادة ولا أحد يقول "أنا أسست الفرقة!". مجلس الأمناءِ الحالي للفرقة يضم أعضاءً من المجتمع، وهؤلاءِ يسهمون في الرؤيا ويقدمون أفكاراً للفرقة دون تدخل مباشر بما يقدمه الجيل الجديد، فالاستمرارية والتطور هما رؤيتنا على المدى البعيد.. لا أستطيع أن أسقط رؤيتي على الفنون منذ تأسست عام ٧٩ على جيل اليوم، لكنني أقول للجيل الجديد دائماً "استفيدوا من تجربة الفنون السابقة ومن رؤية المؤسسين وأضيفوا لمساتكم الخاصة ورؤيتكم المعاصرة كما تشاؤون، دون المساس بهويتنا بأن نبقى فرقة عربية فلسطينية". لا يجوز أن نسلخ أنفسنا من هويتنا العربية وننفصل عن العالم الآخر، فبالعودة ١٠٠ سنة إلى الوراءِ: نحن جزءٍ من منطقة بلاد الشام!

لا زال هناك أناس عاطفيون تجاه الفلكلور ويرفضون فكرة التنويع والتمازج الفلكلوري مع سائر بلاد الشام، وشخصياً أرى أن فرقة الفنون في حالة "تشبُّب" دائم، تماماً كشجر الزيتون الذي مهما قصصنا منه تعود أغصانه وفروعه لتظهر وتتشبب من جديد، وهذا هو نمط 'الفنون' في العمل. دائماً ما نوفر مساحة أكبر للشباب وليس لدينا مصمّم بعينه وإنما مصمّمين ومدربين ومدراءِ فنيين، فإذا اعتمدت الفرقة على شخص واحد سيقوم على الأغلب بجذبها نحو رؤيته الشخصية ولذلك نعيّن مدير فني مختلف لكل عمل مما يخلق تنوع وتناغم وتناقض كذلك، إلى أن يخرج العمل في أبهى حلة للجمهور ويكون بمثابة أجمل ما قدمته الفرقة في ذلك الوقت.

من عرض «صور وذاكرة»، رام الله ٢٠٠٩ – نداء حج علي/قطامش

متى انضممت للفرقة، خالد؟

انضممت للفنون عام ١٩٨٢، أذكر آنذاك كان هنالك ٦ إلى ٧ فرق تنافس 'الفنون' بقوة، وأذكر مشاركاتنا العديدة في المسابقات –التي كنا نهتم كثيراً بدخولها– أننا كنا نتناحر على فارق درجتين في التقييم بين بعضنا البعض، وأتساءل الآن: أين ذهبت كل هذه الفرق؟!! انتهت للأسف الشديد، لأنها كانت مبنية على تجارب فردية، كأن يكون المسؤول عنها قد تقدم في السن أو سافر أو تزوج أو بطّل عندو اهتمام بفكرة الفرقة! حينها تكمن المشكلة في القيادة لا في القاعدة، فقد اندثرت عشرات التجارب الفنية الموسيقية والراقصة في فلسطين و'الفنون' من التجارب النادرة في المنطقة التي حافظت على العمل الجماعي الذي مكنها من الاستمرار على مدى ٣١ عاماً والعطاءِ بلا حدود، وأرى إبداعات مبهرة لدى الجيل الجديد لتوفّر الفرص أمامه، فنحن نرسلهم في دورات خارجية ونستجلب خبراءِ مختصين لتدريبهم إضافة إلى القاعة المخصصة للتدريب والأجواءِ المهيأة للعمل.

الكل منا يشعر بفخر عميق بانتمائه للفرقة وممارسته لنشاط خارج سياق الماديات، فأكثرية الأعضاءِ يشغلون مراكز هامة في المجتمع بما في ذلك أغلبية أعضاءِ مجلس الأمناءِ –ومنهم الأعضاءِ المؤسسين للفرقة سابقاً– وهناك من كان للفرقة التأثير الأكبر في بلورة شخصياتهم القيادية مما جعلهم يحفظون الجميل للفنون على مر السنين، وكلما أوصلتهم الفرقة لمكان ما زاد تعلقهم بها وتعمقت رغبتهم بالبقاءِ معها.

أحمد دغلس - خاص رمّان

ما بين التأسيس واليوم، ما الإيجابيات والسلبيات التي ألقت بظلالها على الفنون؟

إيجابياً تبلورت الرؤيا حول أهمية الرقص، فبداية لم نكن نملك الرؤيا الفنية الإبداعية بقدر التركيز على المحافظة على الهوية حيث كان التوجه السياسي هو المسيطر آنذاك وخاصة في أوائل الثمانينيات. كان الاحتلال يصادر هويتنا فاتخذنا مواقفاً وطنية لنؤكد أننا أبناءِ الأرض المسلوبة وأصحاب الأصول الكنعانية، وفي أواسط الثمانينيات وبعد تقديم عدد لا بأس به من العروض وحصد المراكز الأولى والجوائز في المسابقات الفنية بدأنا بإعادة النظر في رؤيانا الفنية وارتأينا أن نبتعد عن كل ما شأنه أن يجعل من 'الفنون' بوقاً سياسياً لأحد –مع الإبقاءِ على مواقفنا الوطنية تجاه الأرض دون مساس– وانما وعينا إلى واقع أن الثقافة والفنون من شأنهما خدمة السياسة عامةً؛ كأن نقدم عملاً فنياً عن التهجير وحق العودة، لكن أن نكون وسيلة بين أيدي السياسيين فهذا من شأنه تشويه الثقافة والفنون، ومن هنا بدأنا بالتوجه نحو الاستقلالية التامة في أعمالنا مالياً وفكرياً ووطنياً لنواصل المسير كفرقة فنية تخدم قضيتها الوطنية برؤيا إبداعية وتقدم صورة لفلسطين الفن والإبداع والجمال لا فلسطين الاحتلال والقهر والدمار ولن نسمح لأحد بأن يدفعنا للانحراف عن هذا السياق.

ما قولك في من ينظرون للفنانين والمبدعين الفلسطينيين نظرة تعاطفية نابعة من الصراعات القائمة على أرضهم؟

منذ مطلع التسعينات ونحن نناضل ونشدد على ضرورة أن لا يستضيفنا أحد من منظور التعاطف الإنساني وإنما من منطلق أننا فرقة ذات مستوى فني لها وجودها على الساحة الإبداعية ويتوجب توفير الإمكانيات التقنية التي تحتاجها لتقدم ما في جعبتها. لا نسعى للمشاركة في مهرجانات عربية وعالمية مقابل تغطية تكاليف السفر والإقامة والطعام فحسب –لأ متأسّفين! بل ننأى بأنفسنا عن هذا الارتزاق المستشري في المجتمع. لقد مررنا في السابق بمرحلة كنا نتوق فيها إلى فرصة للمشاركة في مهرجانات خارج فلسطين، وأذكر في خضمّ إحدى المشاركات قيل لنا: "إحمدوا الله، منيح اللي جابوكو!!" لكننا في هذه المرحلة –وبفضل استقلاليتنا المادية– بتنا أكثر تمرداً على مثل تلك الممارسات وأصبحنا أصحاب اختيار لما يروق لنا ويناسبنا من مشاركات.

حلو التمرد.. بيخلق رغبة في التحدي!

يعني تخيلي نفسك دون تمرد، أو تناقض! يفترض بنا أن نكون طليعيين نطمح للأفضل والأفضل دائماً في تطلعاتنا وأدائنا وتفكيرنا، وأعود وأكرر على أن استقلاليتنا المادية منحتنا الجرأة بأن نقول: بدنا أو بدناش! حين نصدر

تقريرنا السنوي في نهاية كل موسم فني نشعر بحالة من الانبهار من قبل الأفراد والمؤسسات من فكرة وجود مؤسسة فنية تطوعية تدير ذاتها بذاتها وتملك القدرة المالية على إدارة شؤونها المختلفة. قدمنا ولا زلنا نقدم الكثير من العروض مقابل مبالغ رمزية لدعمٍ المؤسسات المجتمعية مثلاً أو دون مقابل كما نفعل في عروضنا بالقرى ومخيمات اللجوءِ هنا داخل فلسطين أو في التبادلات الثقافية أو احتفالية مثل 'القدس عاصمة الثقافة العربية'، ولكننا لسنا مضطرين لقبول عروض خارجية مجانية أو لا تتناسب ومستوانا الفني، مما يحد من كمّ الجولات الفنية في مقابل التركيز على الجودة والنوعية والمهنية، فقد قررنا تحديد مشاركاتنا الخارجية بجولتين أو ثلاثة في السنة شريطة أن تكون جولات ذات صدى جماهيري وإعلامي ومادي يستحق عناءِ السفر.

أحمد دغلس - خاص رمّان

من خلال أحدث عروضكم 'صور وذاكرة' بدت اللوحات الاستعراضية وكأنها تميل نحو الحداثة لتخرج من عباءة التراث والفلكلور الفلسطيني التقليدي، وأخص بالذكر رقصة 'الحجل: المرأة وخصوصيتها' التي صممتها نورا بكر ووضع موسيقاها الأرمني هيج بازجيان.. كيف استقبل الجمهور الفلسطيني هذا اللون المختلف من العروض؟

لا أستطيع أن أعمم قبول أو رفض الجمهور للعرض، ولكننا حين نُقدم على الإعداد لعمل جديد نضع في عين الاعتبار أمرين هامين؛ أولهما الجانب الإبداعي في العمل الجديد وثانيهما مدى عكسه لجزءٍ من هويتنا العربية بعمقها الكبير لا الفلسطينية فحسب. نحن ضد المناطقية والتقسيمات السياسية التي نسجناها بداخلنا وسعدنا بها فترة من الزمن؛ لا نطمح أن يأتي أحدهم ويقول: "هذا عمل فني فلسطيني" ولا نقدم أي عمل تحت مسمى عرض فلكلوري أو تراثي، وإنما نحن مدرسة فنية تستلهم من التراث وتقدّم موازنة بين الأصالة والمعاصرة. هناك مثلاً عرض 'رسالة إلى...' الذي قدمنا فيه مجموعة من رسومات فنان الكاريكاتير الراحل ناجي العلي في إطار استعراضي؛ هو عمل معاصر وقد تقبله الجمهور –وخاصة الجيل الجديد– بسلاسة كبيرة كونه يشكل جزءاً من الهوية الوطنية، فقد حكى ناجي العلي عن فلسطين بشكل معاصر ومجرّد للغاية. وفي رقصة 'الحجل: المرأة وخصوصيتها' طرحنا واقعاً ملموساً وهو أن ما من إمرأة إلا وتحب ممارسة الرقص بهذا الجمال، وقد جمع العمل ما بين الأنوثة والجمال والتمرد؛ ضعي جانباً الاعتبارات الدينية والمجتمعية التي تصنف الرقص ضمن الممنوعات: حب المرأة للرقص واقع موجود وإن كانت تعاني من الكبت المجتمعي المحيط! وحين وضعت 'نورا بكر' هذه اللوحة الراقصة بدت وكأنها قد أخرجت كل ما في داخلها كإمرأة من خلال هذا العمل الفني، وبنظري كذلك أن الأزياءِ المختارة زادت اللوحة دفئاً وجمالية.

سفاراتنا الفلسطينية في الخارج تتحمل الجزء الأكبر من مسؤولية التقصير بحق المبدعين الفلسطينيين

نجد من بين الجمهور العشرات ممن يتابعون مسيرة 'الفنون' بشكل متواصل ويُعجبون بكل ما قدمته وتقدمه الفرقة من أعمال فلكلورية ومعاصرة، غير أن هناك الكثيرين ممن يأتون لحضور عروضنا حاملين معهم توقعات برؤية عمل فني فلكلوري بحت ليجدوا مع بدءِ العرض عملاً فنياً متنوعاً. قد يكون اسم الفرقة 'الفنون الشعبية الفلسطينية' هو ما يحد من حريتنا أحياناً، ودائماً ما نتحدث للجمهور عن أنه لا يجب أن يحصرنا الإسم في إطار معين، مثل ما تكون وحدة إسمها 'فاطمة' وبتعلّم في 'السوربون'! فهي ليست ملزمة بالضرورة أن تقطن وتعمل في الريف. بالتالي فإن ما يقدمه المرءِ منا هو الأهم وفي نهاية الأمر يخرج جمهور 'الفنون' من القاعة بانطباع إيجابي نابع من الجودة العالية للعرض الذي قدّم للتو مما لا خلاف عليه رغم تنوع وجهات النظر، فمنهم من يقول "بيجنن العرض، بس إحنا بنحب الفلكلور أكتر!".. دون شك نحبهم ونحترم آراءِهم الثمينة ولكننا لا نتوانى عن محاكاة الحداثة في أعمالنا الاستعراضية والتي تفجر طاقات وإبداعات جديدة لدى أعضاءِ الفرقة، ومع هذا وذاك هناك مشاهد فلكلورية ثابتة في كافة العروض التي نقدمها: الدلعونا، التغريبة، الطيارة والسحجة، ودائماً ما يجدها الجمهور في مطلع كل عرض في جولاتنا إرضاءً لتعطشه الدائم للتراث والفلكلور وندخل بعدها في العمل الجديد، ففلكلورنا الفلسطيني محصور ما بين ١٥ إلى ٢٠ حركة! ربما لدينا الكثير لنقدمه غناءً وموسيقى لكننا في الحركة محصورون في هذا الإطار، ولا يعقل أن تظل الفرقة على مدى ٣١ عاماً في حالة اجترار متواصل للتراث القديم دون التطرق لما هو حديث في عالم الفن الاستعراضي والموسيقي.

أحمد دغلس - خاص رمّان

كما أننا نؤسس جميع أعضاءِ الفرقة على المادة الفلكلورية منذ بداية انضمامهم ولا يمكن أن يكون بيننا من هو ليس على علم بثوابت الفلكلور الفلسطيني من كلمات وأغاني وحركات، مش مسموح! فهذه تعتبر من منظور الفرقة خطيئة وتنذر بوجود خلل ما، إلى جانب ذلك كثيراً ما ينضم للفرقة أعضاءِ مش بالضرورة يكونوا فلاحين بالأصل، بل هناك من ينضم للفرقة من المدن أو من أوساط برجوازية أو راجعين من المهجر، يجب أن يتجرع كل منهم أبجدية الفلكلور قبل غيرها ثم ينطلق حيث يشاءِ ويبدأ في بناءِ مهاراته الاستعراضية.

بالنظر إلى عرض 'صور وذاكرة' مثلاً، ثقي تماماً أننا نستطيع إعادة حوالي ٧٠٪ من تلك الحركات الاستعراضية إلى أصولها الفلكلورية، لكن كيف لغير المطّلع أن يلحظ إمكانية ذلك؟ مع مراعاة ضرورة أن يكون المرءِ منا قد قطع شوطاً طويلاً بصرياً ونظرياً وعملياً من أجل ان يمتلك القدرة على استيعاب الجذور الفلكلورية لكل حركة استعراضية يتم إدراجها في العمل، وفي النهاية لن يجد أحد فوارق كبيرة بين ما هو تراثي وما هو حديث نظراً للتمازج السلس بين تلك الحركات الاستعراضية التي يستمد الحديث منها أصالة وعراقة الماضي من التراثي منها، مما يولد الحيرة في نفوس الجمهور حول مدى حداثة العمل فعلياً.

الجمهور الفلسطيني الآن قلّما يحصر توقعاته من 'الفنون' في الفلكلور البحت، لأنه وبكل بساطة يعلم بوجود العديد من الفِرق التي لازالت تقدم استعراضات فلكلورية وأغلبيتها تنتهج ذات الخطى باستثناءِ فِرق معدودة اختارت أن تتمرد على كل ما هو تقليدي. لا زلت أحرص شخصياً على حضور عروض فلكلورية، فأنا بالطبع أحب متابعة الأعمال التراثية طالما أنها متقنة وذات جودة عالية، وكثيراً ما أنبهر من أعمال استعراضية مبنية على الفلكلور في الريف ومن فرق 'لوّيحة'

من عرض «صور وذاكرة»، رام الله ٢٠٠٩ - نداء حج علي/قطامش

تكـون في بعض الأحيان ملهمة لنا فـي "الفنون"، فكوننا أتممنـا عامنا الـ٣١ لا يعني إطلاقاً أننـا وصلنا لمرحلة التشبع والاكتفاءِ الذاتي!

تمارسـون العديد من الأنشطة في القرى والمخيمات، حدثنا عن هذه التجربة..

منـذ مطلع عام ٢٠٠٦ قررنا في مجلس أمناءِ "الفنون" أن نؤسـس فرقة فنيـة كل عام في المناطـق الريفية ونقوّيها في العام الذي يليـه إيماناً منا بدورنا التنموي في المجتمع، فللرقـص والفنون والثقافة دور كبير في تنويـر وتنميـة المجتمعات، ولا نعتبـر أن قناعاتنا هذه جاءِت متأخـرة وإنما ظهرت في مرحلة النضوج الذي وصلت إليه الفرقة. قمنا حتى الآن بتأسـيس أربع فرق في الريـف، فرقتان للصبايـا وفرقتان للشـباب ونحن حالياً بصدد تأسيس فرقة جديدة هذا العام، ورغم أن عملنا مع هذه الفِرق قد انتهى بمرحلته الأوّلية إلا أنهم اسـتمروا على مسـتوى جيد جداً من المهنية والانتماءِ لمؤسسـاتهم التي نقلت لها "الفنـون" جزءاً من روحها الفنية، وبالمهارات الاسـتعراضية التي اكتسـبوها أصبح أعضاءِ هذه الفـرق بالريف يمتلكون رؤى مختلفة عن محيطهم نوعاً ما. نشـعر بأنهـم كأبنائنا الذين نمنحهم جـزءاً من أفكارنا ثم نتركهم ليواجهوا الحياة ويسـلكوا الطريـق الـذي يختـارون. أربع فرق مـن الريف غاية فـي الجمال، أتدركين مـاذا يعني أن نقـول "فرقة بنات" فـي ريف؟! فريق "سـيدا" السـويدية (المؤسسـة التي تدعم الفرقة منذ سنوات) اعتقد عند سـماعه عن تأسـيس فرقـة للفتيات فـي قرية "بيتللو" وقريـة "بيت ريما" أن الموضـوع عادي جـداً، بس مش بالزبـط، يا ريت لو كانت الدنيا هيك! في الريف لا زلن الفتيـات يخجلن مـن إظهار معالم أنوثتهـن ودائماً ما يخفينهـا عن الأنظار نظـراً لما يواجهنه مـن قيود في البيئـة المحيطة بهن، وقد اسـتلزم الأمـر نضالاً منا في البدايـات حين كنا نواجـه ظهوراً مُحوْدبـة من جراءِ محاولاتهن الدائمـة لإخفاءِ ما يثير خجلهن أمام الناس، لذلك فإن الخروج بفرقة فتيات من ريف تقليدي تعد إنجـازاً بنظري أكبر مـن أن تقدم "الفنون" عرضاً في قلب مدينة نيويورك! مع أن ذلك يشـكّل خطوة هامة في مشـوارنا الفني دون شـك، لكن التحـدي الحقيقي يكمن فـي ترك بصمـات فعالة في وطنـك الأم وبين أهلك وناسك.

أذكـر أن دراسـة ميدانيـة أجريت عـن الرقص منذ فتـرة هنـا فـي فلسـطين لصالـح وزارة الثقافـة في أعقـاب مجموعـة من الـورش عقدتها عن الأنشـطة الثقافيـة خلصت نتائجها إلى أن أكثرية فرق المبتدئين والناشئين متأثرين بـ"الفنون"، وعلى إثر هذه الأنشطة وتأسيس الفرق في الريف الفلسطيني هناك من يعتبر أن "الفنون" خرّبت المجتمع، فالأمر بالنسـبة لنا سـلاح ذو حدين.

ذهبتم في جـولات خارجية لأمريكا وأوروبا، وكلنا نعلم التحديـات التي غالبـاً ما تواجه الفنان الفلسـطيني، هل واجهتـم يوماً تحديـات فاقت توقعاتكـم؟ وعن مدى تفاعل الجمهور الغربي مع عروضكم، هل كان يستقبلكم على أنكم فلسطينيون قبيل أن يرى ما لديكم؟

دائمـاً مـا نواجـه عقبـة تكمـن فـي مسـاواة الجلاد بالمجلـود.. التطبيع! هذا الأمر هـو أكثر ما يطغى على الدعـوات التي نتلقاهـا، فهناك توق دائـم لعرض فني فلسطيني–اسـرائيلي مشـترك، فذلك يحقق بسلاسة متناهية ما تسعى دائماً حكومة الاحتلال جاهدة لتحقيقه عبر وزاراتها وعبر صرف المبالغ الطائلة! لا أحد يرغب في اسـتضافة من يقـول: "يا جماعة أنا ضـد التطبيع ما دام فـي جندي احتلال في بلدنـا"، ولذلك طالما هناك أجندة سياسـية من هذا النوع لن نسـمح لأنفسـنا بأن نكون بالبرنامج من الأساس.

كذلـك لا نقبل بالتعامل معنا كفرقـة فنية تحتاج دعماً مالياً، فمـن لا يأخذنا علـى محمل الجـد كفرقة ذات مستوى فني ينافس أو يضاهي أو أفضل من الموجود، كمان مـرة: متأسـفين! لازم يوخدونـا كمتميزين في مجالنا الفني، لا بناءً على اسم الفرقة. عندما يتوفر حضور مُرضي ومسـرح مجهز بكل الإمكانيـات الفنية والتقنية المطلوبة سـنكون سـعيدين للغاية بتقديـم عروضنا.. غالباً ما يكـون الانطباع (أو التوقـع) المبدئـي: حرام.. حجـار وتفجير ودم.. لكن بمجرد بدءِ العرض، غالباً ما تظهر علامـات المفاجأة على وجوه الحاضرين.

قيل لنا مرة: "إحمدوا الله، منيح اللي جابوكوا!"

حفلكـم الأخيـر فـي حرم الجامعـة العربية الأمريكيـة فـي جنيـن سـجّل حضـوراً جماهيريـا متميـزاً وصـل إلـى ٢٥٠٠ متفرج، لا شك أنه كان من بينهـم العديد من أهالي الجليل والمثلث كذلـك نظـراً لقربها الجغرافي.. ماذا عن عروضكم في تلك المناطق؟ ذهبتم فـي جولات عدة حـول العالم ولكننا منـذ فترة لم نعد نسـمع بعروض لكم قدِّمت هناك.. كيف تتواصلون مع أهلنـا في الجليـل والمثلث والقـدس والنقب في ظل القمـع والتضييق القائمين من قبـل الاحتلال؟ وماذا عن أهلنا في غزة المحاصرة؟

بالفعل كان حضـوراً جماهيرياً رائعاً في جنين توافدت إليه جماهير من أراضي الجليل والمثلث بالحافلات! هنا باعتقادي يكمن دور المؤسسات الثقافية في رام الله بأن تنقل الحالة الثقافية إلى باقي المدن الفلسـطينية لا أن تنتظر أهالي هذه المدن أن يأتوا إليها. فحين عرضنا في جنين، كنا نحن من تولى بناءِ المسـرح وجسور الإضاءة وكافة التجهيزات التقنية الأخرى، فنحن نحترم وندرك أن الإمكانيات لا تتواجد دائماً لدى كافة المدن بمستوى واحـد، وإذا وضعنا ضمن خطتنا السـنوية إقامة عرض أو عرضيـن في هذه المناطـق وتولّي كافـة التكاليف، فالشـغلة بتسـوى! قبل هذا الحفل كانت آخر عروضنا في جنين عام ٢٠٠٠ قبيل الاجتياح بفترة وجيزة، ومنذ

... وما زالت على قيد الرقص

خالد الغول×

من وجهة نظري كعضو ينحاز الى جماليات فرقته، أرى ان من عوامل استمرار فرقة الفنون الشـعبية الفلسـطينية علـى قيد الرقص حتـى الآن هو خصوصية التجربة ابداعيا واداريا ورؤية.

ولكن، ما الخاص في تجربة هذه الفرقة، حتى ترى نفسـها وكأنها حالة استثنائية ، بكل هذه الثقة، او ربما الادعاءِ ؟!

فـرق كثيرة في ظـروف عادية جدا لم تعـش عدة اعوام ، لكـن فرقة الفنون الشـعبية – فـي ظرف كولونيالي قاهـر- ولدت قبل اكثر مـن ثلاثين عاما، وما زالت تسـتولد التجربة وتعيد ابتـكار ألقها ونضارة ابداعاتهـا، والامر بحد ذاته جدير بالانتباه..

فرق كثيرة ولدت وعاشـت، وبعضها مات، تحت اسم وسيطرة وسيادة وقيادة شخص واحد، او عائلة واحدة، وما ان غاب القائد الفرد او العائلة (المالكة!) حتى انكتب على التجربة ان تنتهي، ولم يبق منها سـوى ذكراها او دروسـها، دون ان تتجدد وتسـتمر كتجربة ذاتية بحتة، لكن الفنون في تحليقها الرشيق، كانت وما زالت فرقة اعضائها برؤاهم واحلامهم وتجربتهم الجماعية، ولا تقاد من زاوية او قـراءِة او حلم او رؤية لفرد او عائلة او حزب او جهة او فئة. انها تجربة جماعية تبني وتراكم، وتبدع وتنجز، بانسيابية وسلاسة وروح جماعية خلاقة.

كان لون فرقة (الفنون) في لحظة التأسـيس واحدا، وكان معلنا عن نفسـه بكل نصوع وحدة، ومشـهراً انحيازه فـي الاغنية والرقصة والشـكل والجوهر، لكنها ادركت بعد (ورطة) النجاح الكبير، ان شـرط اسـتمرار النجاح هو الانفتاح على كل الألوان، وان تكون سـجادة الفرقة مزركشـة بازهـى الوان الوطن، تحتضن كل رشيق، وتتدفا بكل عذب، وتسترشد بكل مبصر. ولولا هذا التجدد الطبيعي في دورة الحياة الفنونية لما تسنى لها بأي شكل من الاشكال ان تنجح او تستمر. وهذا التمدد البديع على بسـاط الوطن، يسـتلزم منـاوءِة التبعية لاي طرف، او الارتهان باي مؤسسـة، او الانحشـار في اي بقعة، بل فتح الأبـواب للكل الوطني والجمالـي، والانفتاح على جميـع الأطياف، والتحليق فـي كل الفضاءِات، واختبار كل القـدرات، وتفجير كل الطاقات، والخوض في مختلف المدارس والتجليات، والسباحة في تعدد الينابيع، والانتشار في كل المساحات طولاً وعرضاً وارتفاعاً.

لو تجاوبت "الفنون" مع عروض مغرية كثيرة لاحتواءِ تجربتها، لكتبت على نفسها الضمـور التدريجي ثم الانحسـار الحتمي. لكنها بود واحتـرام للآخرين، وباقتناع منها باسـباب وعوامل اسـتمرارها، ظلت قابضة على جمر الاسـتقلالية المتعبة والباهظـة الثمن. وظل ديدين الفرقة ان زخـم وقوة المبدع في امتلاكه لزمام أمره، وإحاطته بادوات إنتاجه، وأن اسـتقلالية المبدع شـرط نجاحه واستمرار وجوده مثلما هي الحرية شرط الابداع.

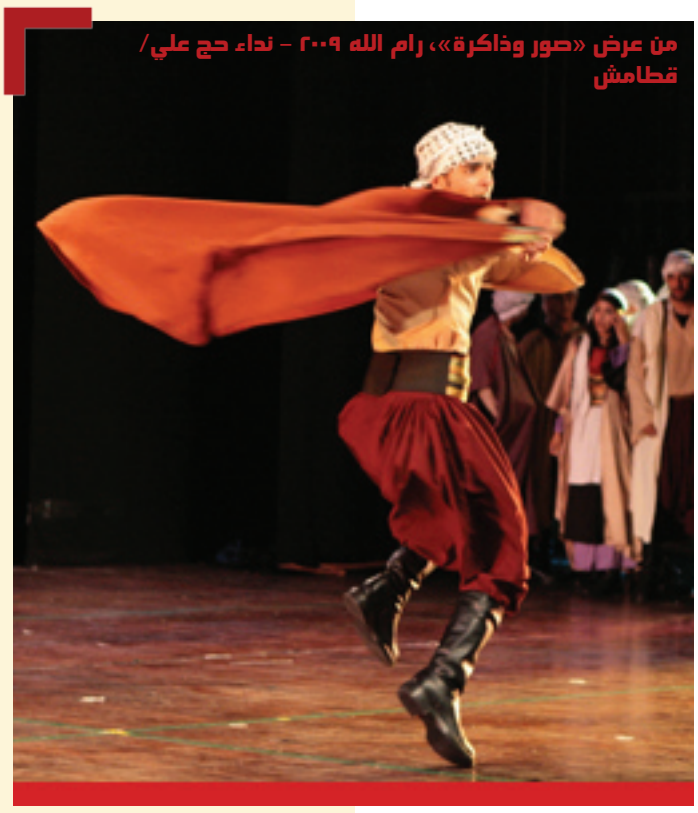
من عرض «صور وذاكرة»، رام الله ٢٠٠٩ - نداء حج علي/ قطامش

احترافية المتطوعين، وتطوعية المحترفين، معادلة فنونية، فيها الموظف العامل بأجر شـخص مبدع على خشبة المسرح وقائد فـي ميدان الممارسـة الأساسـية للفرقة وهـي الرقـص، ومتقـن لادائـه الاداري بحكـم التجربـة والخبـرة والتخصـص. وواقـع الموظف في الفرقـة عمره قصير جدا، وعـدد الموظفين ثلاثـة فقط، اثنان منهم يعملان مؤخـرا وبوظيفة جزئية. اما التطوع فهـو المهنة المتقنة بحرفية عالية، وبحميميـة ابنـاءِ وبنات اسـرة اجمل ما فيهم انهم اسرة بالاختيار والمثال والرؤية والجمالية والرهافة.

فـي فرقـة الفنون ورشـة رقـص متعبة ولذيذة، الرقص فيها فعل إنسـاني يكشف عـن مـآلات التجربـة الفنونيـة الذاتيـة، ويفصـح عـن تنـوع وديناميكيـة يدخـل الرقـص المعاصر فيها فـي اطار التجريب واطـلاق الاجنحـة فـي فضاءِ مـن التنوع والتدفـق الحيوي الداخلي، الذي لا يعترف بغير السـماءِ حدودا له. وفي ذات الوقت، وتعبيرا عن تنوع التجربة وتعددية مشاربها واتساع مداها يحط ابناءِ الفرقة رحالهم في ريف مهمش خرجت منه الدبكة الشـعبية لتعود إليه بصيغة أخرى، وبأفق معاصر يمارسها ابناءِ وبنات الوطن في جمعيات ومدارس ومراكز شـبابية في قرى ومخيمات فلسطين، تتخطى بحذر حواجز المنع والتقييد وتكسـير الاجنحة، وتفتح نوافذ للانطلاق والتشبث بتراثها وأرضها ووطنها. وفي هذا الجمع الخلاق الذي لا يقطع مع الماضي ولا يتماهي مع الوافد ، بل يعصرن الاصيل ويؤصل المعاصر، تكتب الفنون اهم ملامحها الفنية.

لا تملك فرقة الفنون امبراطورية مالية تسـتطيع من خلال الاعلانات والمكافآت السخية للمراسل (الثقافي!) ان تحتل مساحات واسعة على الصفحات الثقافية، ولا تمالىءِ السلطان، وترفض ان تكون بوقاً لأحد، أو ناطقة باسم جهة، ولا تعاني من شـلل التذيل لحزب أو مؤسسـة او جهاز او وزارة او محافظة او زعيم او رجل اعمـال .. الخ مـن أصحاب النفوذ، كما تأبى ان تكون مـن المحظيين والمقربين لاصحاب النفوذ والهيمنة على حسـاب مسـتواها الفني والابداعي، حتى وان ادى كل هذا الاباءِ الى تهميشـها اعلاميـا وحرمانها من الترويج والتتويج في المحافل الاعلامية المحلية، وتغييبها عن ساحة المشاركات العربية والعالمية، وتزكية فرق (الموالاة) التي تنحاز الى ذوق السلطان وتسبح في فلكه، وتسبح بحمده.

×عضو إداري في الفرقة

من عرض «صور وذاكرة»، رام الله ٢٠٠٩ – نداء حج علي/قطامش

ذلك الحين لم يتسنّ لنا تقديم أي من عروضنا هناك. هناك الكثيرين ممن كانوا أطفالاً حينها كبروا الآن دون أن يعرفوا شيئاً عن الفنون، ولذلك نحتاج لأن نجدد علاقتنا بهذا الجيل المقبل على الحياة بكل جمالياتها. برأيي يجب أن تكون لدى وزارة الثقافة رؤيا بهذا المجال، لأن امراً كهذا بحاجة لأموال وسلطة إدارية ودونهما لن تتحقق الطموحات، ولهذا فنحن بحاجة لمؤسسات رسمية، أو حتى مؤسسات مثل الـ'إن جي أوز' المعتدلة التي تملك توجهاً تنموياً وتطويرياً لدعم هذا المجال من الإبداع، ولست متأكداً من مدى استعداد مؤسساتنا وتنظيماتنا وقوانا الاجتماعية أو المدنية لفهم الدور الأساسي الذي تلعبه الثقافة والفنون في العملية النضالية.

أما عن عروضنا في الجليل، فلغاية التسعينات لم نواجه أية عقبات، بل على العكس، كنا نعرض في إم الفحم والناصرة وكفر كنّا واللّد وعكا وحيفا وفي مختلف انحاءِ الجليل، وربما آنذاك فاقت عروضنا في الجليل تلك في مدن الضفة الغربية نظراً لأنه كان لديهم توجه أكبر لهذا النوع من الفنون، لكن وبعد الإغلاقات وأوسلو والفصل النهائي بين مدن الضفة ودولة الكيان المحتل والجدار العازل وغير ذلك من الانتهاكات المتواصلة باتت الأمور أكثر صعوبة بكثير، ولم نكن نستطيع اتخاذ قرار بتهريب الفرقة إلى الداخل الجليلي! في العام الماضي قدمنا عرضاً في القدس –بعد انقطاع قسري دام ١٥ عاماً– بدعوة من الممثلية الفرنسية للمشاركة في 'مهرجان يبوس' الذي شاركت الممثلية في تنظيمه. كما قدمنا منذ عامين عرضاً ختامياً لمهرجان 'إلى الجولان' في أراضي الجولان المحتلة، وقبل ثلاث سنوات عرضنا في حيفا، وقمنا حينها بتهريب بعض من أعضاءِ الفرقة أما البقية فلم تتجاوز أعمارهم آنذاك الـ١٦ عاماً ولم يكونوا بحاجة لهويّات شخصية أو تصاريح للدخول، وكان عرضاً جيداً. غالباً ما أتلقى أنا شخصياً وعدد من أعضاءِ الفرقة رفضاً على طلب الزيارة لأراضي الجليل أو القدس، ولكن الفرقة مع ذلك تمضي المسير وتقدم العرض متحدّية كافة العوائق التي تواجهها، ففي حالات قاهرة كهذه يطغى حضور الفرقة على مستوى الأداءِ إجمالاً، بمعنى أننا لو فرضنا أن عرضاً يتطلب ١٢ عضواً وتمكن ٦ أو ٧ فقط من تقديمه فإنه ينجح رغم التحدي القائم. وفي الريف لا نلتفت بإصرار لجودة الصوت والإضاءِة والإمكانيات التقنية المقدمة للعرض وإنما نكتفي ونسعد بالتواصل وتقديم ما هو مختلف للجمهور الحاضر، وهنا تكمن رسالتنا؛ في رام الله لا نعرض دون توفر الجودة العالية لأنها رام الله، فرسالتنا الموجهة من بين ثنايا العرض هي التي تحدد وجهتنا.

حب المرأة للرقص واقع موجود وإن كانت تعاني من الكبت المجتمعي المحيط

لا تواجهنا أية عوائق في عروضنا بمدن وقرى الضفة الغربية.. أما بالنسبة لغزة فقد قمنا بإحياءِ عرض خاص لأهلنا هناك بثّ من رام الله الى غزة على الهواءِ مباشرة، أواخر عام ٢٠٠٨، وقد بثته في تلك الليلة إلى قاعة المتحف في غزة وكالة رامتان للانباءِ، بدعم من الوكالة السويسرية للتنمية (سيدا) رغبةً منا في مد جسور التواصل والرقص معاً للحرية والفرح والحياة، وكنا خلال البث نرى مشاهد للجمهور الحاضر في غزة بين حين وآخر عبر شاشات العرض.

خالد قطامش، العمل الفني «للحرية نرقص»، احتفالية الذكرى الـ٢٨ لتأسيس الفرقة، رام الله ٢٠٠٧ – نداء حج علي/قطامش

على من يقع اللوم في التقصير بحق المبدعين الفلسطينيين؟ الإعلام؟

قد يتحمل الإعلام جزءاً لا بأس به من اللوم ولكن بتقديري أن اللوم الأكبر يقع على سفاراتنا الفلسطينية في الخارج والتي يفترض بها أن تمثل كافة الفنانين والمبدعين الفلسطينيين وتعزز جسور التواصل بينهم وبين شعوب العالم. لا نلقى أي اهتمام أو متابعة من الأقسام الثقافية بالسفارات للترويج للجانب الإبداعي والثقافي والفني في فلسطين، مما يعكس دورهم النمطي! على خلاف المركز الثقافي التابعِ للسفارة الفلسطينية في مصر مثلاً، الذي يعمل به شابان نشيطان يملؤهما الحماس والشغف بالفنون والأدب كانوا غاية في اللطف والدعم للفرقة خلال تواجدها في مصر لتقديم عروض على مدى ثلاث جولات متتالية، وكنا نشعر بفارق إيجابي في كل مرة نقدم بها عرضاً إضافة إلى الاهتمام الملفت الذي شعرنا به إعلامياً وجماهيرياً، بينما نستشفّ لدى الآخرين ضعف في عملية الترويج والتواصل مع الجمهور، أو على الأقل الجالية الفلسطينية في ذلك البلد.

ما رأيك في مواقع مثل يوتيوب وفيسبوك كوسيلة للانتشار والتعريف بالنفس؟

أؤيدها عند استخدامها في الإطار

الصحيح، فهي تمنح هامشاً كبيراً من الحرية! نجد الكثير من عروضنا على يوتيوب مثلا بتسجيلات شخصية، ولكنها لا تعكسنا ومستوانا الفني كما يجب، وفي اجتماع بين الأعضاء مؤخراً خلصنا إلى ضرورة التواصل مع يوتيوب والمواقع التي نجد عليها مقاطع تسجيلية من عروضنا والتنسيق لإزالتها نظراً لعدم الحصول على ترخيص بنشرها. لذلك ولتقديرنا لكل من يحب الفنون ويرغب في مشاركة الآخرين بأعمالنا الفنية نحن حالياً بصدد إنشاءِ قناة خاصة بالفرقة على موقع يوتيوب يتم من خلالها عرض مجموعة من المقتطفات التسجيلية لعروضنا السابقة، بحيث تعكس ما نريد وما نقدم بالمستوى الفعلي وبتصوير محترف.

وما قولك في أن الثقافة والفنون مجالين مهمشين على الصعيد الرسمي في فلسطين، رغم الثراءِ الذي تشهده الحياة الإبداعية هنا؟

لاحظنا مؤخراً أن الفِرق التي يتم اختيارها وإشراكها لتمثيل فلسطين في الخارج بمهرجانات واحتفاليات عربية وعالمية لا يتم انتقاؤها بشكل مهني وفني وابداعي، وإنما يتم بناءً على علاقات أو توازنات خاصة: "ما هي الفنون راحت ع مصر، خلينا نبعت هاي الفرقة بدالها!" لا يجب أن تخضع مثل تلك المشاركات الخارجية للتوازنات فلا مجال لها هنا، فلنبقِ التوازنات هذه في داخل المجتمع المحلي ولنجعَل الجمهور الفلسطيني يتابع كل الفرق، لكن أن يتم انتداب فرد أو مجموعة ما لتمثيل البلاد في الخارج دون امتلاكهم القدرة على تقديم صورة مشرّفة لما وصلت له الحالة الفنية والثقافية والإبداعية من ثراءٍ فهو أمرٌ يسيءُ لهذا التاريخ الإبداعي. وقد شهد العام الماضي "تخبيص كامل" من قِبل المؤسسات المسؤولة عن إشراك فِرق في احتفالية القدس عاصمة الثقافة لعام ٢٠٠٩ في الخارج، حيث تنامى إلى علمنا أن احدى الفرق شاركت بعرض قدّم صورة مبتذلة للحياة في فلسطين لم يرد منها إلا استعطاف بائس من الجمهور الحاضر وقتها.. هادا مش فن ولا ثقافة! لنأخذ مثلاً حياة المعتقلين في سجون الاحتلال، هناك من يتناولها بشكل مباشر ومستهلك، كأن يخرج على خشبة المسرح شخص مكبّل بالقيود والأصفاد، وهناك من يتناولها بشكل إيحائي يجعل من يتابع المشهد يتساءل في قرارة نفسه: "يخرب بيتو كيف عبّر عن المعتقلين بهالمشهد!".. هنا يكمن الإبداع!

لا نفع من الكلام دون تكاتف المبدعين المهنيين الذين يملكون رؤى وأعمال قيمة، فحينها يتحول الأمر إلى موضوع نظري بحت، لكن ثقي تماماً أننا من خلال تبادل الأفكار ووضعها على الطاولة سنصل إلى حالة ملحوظة من التغيير، قد لا تتحقق سريعاً لكننا سنصل دون شك.

هناك من يأتينا ويقول: "في أحداث دايرة بالمنطقة الفلانية، إلغوا العرض، مش وقتو!".. ومن قال أن من لا يحب يستطيع أن يناضل؟! لا يجب أن نرمي الحب بسبب وقوع استشهاد! بإمكاننا أن نعرض الأحداث الدائرة بشكل إبداعي. وضعنا في أكثر من لوحة استعراضية ثنائية شاب وفتاة، ناس بتحب بعضها، وهناك رقصة للبراعم الصغار أسميناها "أمل" كناية عن الأمل بأن يستمر هذا الجيل ويواصل النضال، هالجيل لما يحب وينبسط بيكمل مسيرة الحياة، غير هيك لما الناس تعيش بتوتر وتدخل باكتئاب مش رح تِصل لمكان، ولا حتى رح تناضل!

في الذكرى الثلاثين لتأسيس "الفنون" احتفل بكم جاليري المحطة في رام الله بإقامة معرض متمازج مميز ضم مجموعة من مقتنيات الفرقة على مدى ثلاثة عقود مضت، كتب لكم في سجل الضيوف يومها أحد الكتاب الفلسطينيين: "كان الرقص أول العبادة"، فيما أطلق كاتب فلسطيني آخر عليكم لقب "سفيرة البلاد"... كيف يشعركم هذا الاحتفاءِ الجميل في ظل التقصير الواقع تجاه "الفنون"، على المستويين الرسمي والإعلامي؟

مثل هذه التفاعلات تثلج صدورنا وتسعدنا بعمق ومن خلالها نشعر بالتقدير الحقيقي لما نقدمه من أعمال من قبل مفكرين وأدباءِ وفنانين ومبدعين يحترمون الفن الجاد الذي يسعى دائماً للتطوير وإضفاءِ الحداثة. أقيم المعرض في جاليري المحطة تحت عنوان "ثلاثون لوحة ورقصة أولى" وامتد لأيام تفاعل خلالها الجمهور الفلسطيني مع إنجازات فرقة الفنون وتاريخها الفني.. نظرت خلال المعرض إلى بوستر كبير عُلّق في منتصف القاعة ضم كل أعضاءِ الفرقة عام ١٩٨٤ (وأبناءِ هؤلاءِ من الأعضاءِ الحاليين للفرقة) في صورة التقطت عندما فازت الفرقة بالجائزة الأولى في مهرجان الدبكة الشعبية في جامعة بيرزيت في ذلك العام، وشعرت حينها كيف أن الزمن مضى مسرعاً.. ثلاثون عاماً .. "مش مزحة"! نشكر بعمق الفريق القائم على الجاليري وكل من حضر على تلك اللفتة الرائعة، لقد كانت بحق احتفالية مميزة..

لسنا منصفين إعلامياً في فلسطين، ولا يخلو الأمر من "بعض" الأقلام المأجورة التي تبدي استعداداً لكتابة مقال بناءً على طلب شخصي وبمقابل، وهذا الأمر مرفوض تماماً ولن يشعرنا إلا بامتعاض داخلي! لو كنا انتمينا لفصيل سياسي معين لكانت أمورنا "تمام التمام" دون أي عناءٍ أو جهد، ومرات بنلاقي حالنا محسوبين من قبل جهات معينة ع فصيل هو نفسو مش حاسبنا عليه! قد تكون مثل تلك المواقف في غير صالحنا ولكنها دون شك تقوي استقلاليتنا وتدفعنا نحو الاستمرارية في المستقبل. لا نشعر بالندم على أي من مواقفنا، لأننا لا مأجورين ولا مستأجِرين، إحنا بنقدم رسالة أعمق من هيك بكتير.

أصبح من يتمسك بموقف وطني –أو موقف متطرّف كما يقولون– لا يلقى إلا المحاربة والتهميش. نحن ضد التطبيع وضد الانتماءِ لفصيل سياسي، وبالحديث عن التطبيع، فغالباً ما يتم التركيز على عقلية الطبقات الوسطى في المجتمع الفلسطيني من مثقفين ودكاترة جامعات وفنانين ومفكرين لهم دور أساسي بالطبع في المجتمع ويتم توجيههم تدريجياً للاعتراف بدولة الاحتلال، في حين أن المعروف عن الطبقات الوسطى في العالم أنها دائماً ما تكون الشريان الرئيسي لحركات الثورة في كل العالم! هدول الآن كتير منهن مرتبط إما بـ NGOs توجهاتها مبهمة أو مشاريع للـUSAID فيما يعدّ تمييعاً بالغاً لدور المثقف في المجتمع الفلسطيني. الآن صفّى التطبيع وجهة نظر؟؟ لا يا عمّي، من وقتيش؟؟

ضد التطبيع بكل أشكاله ونرفض أن نشكل بوقاً سياسياً لأحد!

عناوين أعمالكم منذ البدايات إلى اليوم لها طابع خاص وتحمل في طياتها الكثير من الشجن والنوستالجيا، كيف تأتون على اختيار هذه المسميات؟

عملية اختيار العنوان تأتي بعد الانتهاءِ من العمل وقبل الإعلان عنه بأسابيع؛ نقاش جماعي تليه مقترحات عدة وتصفيات ثم اختيار نهائي. من البديهي أن يكون الاسم بمثابة مرآة للعمل الفني بشكلٍ أو بآخر، ولا بد أن يحمل شيئاً من الحياة والحب والأمل:

- صور وذاكرة: عكس واقعاً وصوراً من الحياة اليومية متمازجة مع ذكريات الماضي ما بين حب ورقص نساءٍ ومقاومة وبراعم واستعراض، كإنسان يسترجع مئات الصور العالقة في رأسه دون أن تطغى إحداهن على غيرها.
- رقصة شمس: العمل البصري لألبوم "زريف" الغنائي، ومضمونه الأمل والتفاؤل والحياة.
- رسالة إلى...: قدمنا فيه لوحات استعراضية مستوحاة من رسومات الفنان الراحل ناجي العلي كان بمثابة رسالة مفتوحة للناس "وين عم بترحوا؟!".
- زغاريد: الزغاريد في فلسطين تُطلق في الأعراس والاستشهاد! تماماً كالورد، نجده دائماً في مختلف المناسبات.
- وادي التفاح: معركة تعد حدثاً هاماً جداً، قد لا تكون بضخامة مجزرة جنين وصمود أهلها لكن الإسم يخلق تساؤلاً وفضولاً عن تاريخٍ مضى لا يشفيهما إلا حضور العرض.
- حيفا بيروت وما بعد: حيفا الأمل وحق العودة، وبيروت الانفتاح والتعددية واحتضان المقاومة.

إحدى لوحات هذا العمل كانت رقصة المفاتيح كما ترين في الصور نحمل مفاتيح ضخمة، المفتاح فيهن أطول مني! وسواءٍ عرضناها في الخارج أو الداخل يتساءِل الجيل الجديد والجمهور الغربي "شو يعني مفتاح؟" هو حق العودة.. بكل بساطة.. هو رمز وضعناه على المسرح بشكل إبداعي فني وحين تتضح الإجابة للجمهور بيصيروا يقولوا "واو!". لم نكتف بأن نعلقه سلسلة برقابنا، وإنما تمسكنا بالحق وأظهرا مدى ثقل هذا الهم حين ندخل إلى المسرح بتمايل أثناءِ حمله على الأكتاف.. هالقد مهم وإلى الآن لا أحد يكترث.. من هنا يتسنى للمبدع أن يسرح بخياله برمزيات صغيرة يحقق فيها مراده بإيصال الرسالة لأصحاب الشأن.

ما أكثر أعمالكم التي لاقت اقبالاً جماهيرياً وإعلامياً؟

غالباً ما يكون العمل الأجدد هو الأكثر إثارة للاهتمام، فكل عرض يعكس أعلى مستوى إبداع وصلت له الفنون في ذلك الحين. بعد انتهاءِ العرض بيومين يبدأ التخطيط للعرض التالي والتقييم والتركيز على الفجوات الفنية -إن وجدت- والتحسينات التي يتوجب إجراؤها في العرض القادم. "صور وذاكرة" لم يمض عليه إلا عامٌ واحد، لكنني حتماً كنت سأقدمه بشكل مختلف الآن، ومع ذلك فدائماً ما تتسنى لنا الفرص لنعوّض في العمل الجديد.

بشكل عام يميل الجمهور للعروض الفلكلورية؛ "زغاريد" بنى إقبالاً جماهيرياً منقطع النظير حتى يومنا هذا، "رقصة شمس" لاقى إعجاباً كذلك كونه من أداءِ البراعم ويحوي مواداً فلكلورية كثيرة، "حيفا بيروت وما بعد" تمازج قليلاً مع أعمال معاصرة حيث تعاونّا فيه مع الفنان مارسيل خليفة وعودة ترجمان وغيرهم، "رسالة إلى..." عرض لرسوم كاريكاتير تصاحبه لوحات استعراضية مستوحاة لاقى إقبالاً لافتاً، رغم أنه لم يكن فلكلورياً البتة: لا تطريز ولا أثواب، ومع هذا وذاك فكلما حمل العمل روحاً فلكلورية زاد تعلق الجماهير به، وإن لم يكن بالديكور والملابس فبالجزءِ السماعي، أي

من عرض «حيفا، بيروت وما بعد..»، القدس ٢٠٠٨ - نداء حج علي/قطامش

من عرض «صور وذاكرة»، رام الله ٢٠٠٩ - نداء حج علي/قطامش

الموسيقى والغناء. أغاني 'زريف' و'زغاريد' مثلاً موجودة على أقراص يمتلكها الكثيرين ويحبون سماعها دائماً، 'حيفا بيروت وما بعد' لم ينزل إلى الأسواق في ألبوم غنائي نظراً لعدم ملكيتنا لتلك الأغاني وعليه لا نملك حرية التصرف بها، فقد نلنا حق استخدام الموسيقى في العرض، لكن العروض موجودة دائماً على أقراص فيديو مدمجة (DVD).

استعنتم بأعمال موسيقية للسيدة فيروز والرحابنة ومارسيل خليفة وأحمد قعبور وشربل روحانا (لبنان)، طارق الناصر (الأردن)، الثلاثي جبران (فلسطين)، عمر فاروق (تركيا) وهيج بازجيان (أرمينيا) ونخبة كبيرة من الفنانين؛ إلى أي مدى ساهم هذا التواصل في إحداث تمازج فني وإثراء ثقافي لعروضكم، على اختلاف تلك المدارس الفنية؟

إجمالاً يلتفت من يحضر عروض الفنون للحركة أكثر من الموسيقى، فأياً كانت الموسيقى ما يلفتهم في النهاية هو ما صممته 'الفنون' من لوحات استعراضية تتماشى مع تلك الموسيقى حركةً ومضموناً، فالفنون تعلق في ذهن الناس كأداءٍ ولكن ودون شك لا يخفى على أحد التمازج ما بين اللوحة الاستعراضية والخلفية الموسيقية، فكلما كانت الموسيقى غنية كانت الحركة بدورها غنية كذلك. استخدامنا لأعمال موسيقية بهذا المستوى الفني الراقي من شأنه أن يسهم في تطوير أداءِ الفرقة والانفتاح على عالم الموسيقى العالمية بما يخدم العمل الفني.

أطلقت الفنون يوم الفلكلور الفلسطيني عام ١٩٨٦، ما هو التاريخ تحديداً؟

كان يوم الأول من تموز/يوليو ولكنه أصبح الآن في السابع من تشرين الأول/أكتوبر، حيث قامت السلطة بتغييره نظراً لأن المدارس وبعض المؤسسات تكون مجازة في فترة الصيف وغالباً ما تكون الاحتفالية في المدارس؛ ولكنه أضيف لرزنامة الفعاليات الفلسطينية وأصبح يلقى اهتماماً أوسع من قبل المدارس التي دائماً ما تقدم نشاطات مميزة احتفالاً بحلوله.

حدثنا عن فيلم 'إنقاذ عاطفي'..

جاءتنا المخرجة الألمانية هيلينا والدمان وعرضت علينا تصوير فيلم تسجيلي قصير يسرد قصصاً من تجارب شخصية مرت بها مجموعة من أعضاءِ الفرقة في إطار فني إيحائي راقص، وفي البداية ذكرت لنا أنها لا تريد أن تتطرق للسياسة وإنما فقط للتجارب الشخصية، وطلبت الالتقاءِ مع كل راقص على حدة حتى لا يؤثر أحدنا على الآخر.. طيب، لما تيجي تسألني عن تجربتي في الحياة، في الوقت اللي لما كان عمري ١٨ سنة دخلت المعتقل، عن شو بدي أحكي؟! عن بنت كنت أحبها وما تجوزتها مثلاً؟! بيجوز، إذا كان هاد الموقف نقطة فارقة في حياتي، لكن الاعتقال فعلياً كان أهم معلم وحدث أثر بي وصقل شخصيتي. مع ذلك لم نبد أي اعتراض، رغم شعورنا بأننا لن نتمكن من سرد قصصنا دون التطرق للاحتلال الذي شكل ويشكل عنصراً مؤثراً أساسياً في حياة كل منا، وكان لها ما أرادت.. التقت بـ٢٢ عضواً من الفرقة وحكى كل منهم عن قصة أثرت فيه وفي حياته.. أتعلمين ماذا اختارت في النهاية؟ ستة قصص تطرقت للسياسة!!

هيلدا جاءت برؤيا بعيدة عن السياسة ظناً منها أنها ستتمكن من تحقيقها ولكنها حين جاءت واستمعت إلى قصص وتجارب شخصية لا تخلو من الآثار السياسة لم تستطع إلا أن تسلط الضوءِ عليها، وقد دغدغ هذا الموقف مشاعري وسعدت بما خلصت إليه لأنه واقع لا يمكن التغاضي عنه، واقعٌ يفرض علينا الاحتكاك المباشر مع الاحتلال ولا أحد يستطيع فصله عن مجريات حياتنا اليومية، فأنا لا أستطيع الذهاب إلى القدس بسبب الاحتلال! ولا أستطيع التحرك بحرية حتى بين مدن وقرى الضفة الغربية أحياناً بسبب الاحتلال! فهو دون شك محور رئيسي في كل مشاكلنا. حتماً ستظهر مشاكل أخرى عند زوال الاحتلال لكنه يبقى الأطغى والأهم دون منازع. الفيلم حلو كتير، عُرض رسمياً في رام الله وفي ٦ أو ٧ مهرجانات دولية وحاز على جائزة خاصة من مهرجان الجزيرة السينمائي في قطر عام ٢٠٠٦ لتفرده بالشكل الفني المتميز في تعبيره عن معاناة الشعب الفلسطيني، كما عرضناه خلال جولاتنا في أمريكا والنمسا والأرجنتين، حيث كنا نستخدمه على مشاهد متقطعة ضمن اللوحات الاستعراضية لخلق نوع من الترابط في السيناريو.

أحمد دغلس - خاص رمّان

فرقة الفنون في حالة "تشبُّب" دائم، تماماً كشجر الزيتون الذي مهما قصصنا منه تعود أغصانه وفروعه لتظهر من جديد

ماذا عن مركز الفن الشعبي؟

مؤسسة غير ربحية مستقلة بذاتها، قمنا بتأسيسها عام ١٩٨٧ لتصبح ملتقى فني لفرق الرقص الشعبي في فلسطين حيث كنا وغيرنا نعاني من عدم وفرة الإمكانات التي نحتاجها، وعام ١٩٨٩ ارتأينا تسليم الجانب الإداري للمركز لكادر متخصص متفرغ تم تعيينه حينها لنعود ونركز على تسيير الفرقة. نتشارك ذات المبنى وقاعة التدريبات ولكن بطاقمين إداريين منفصلين، وقد انضممت تطوعاً لعضوية مجلس إدارة المركز إلى جانب مهامي الأساسية في فرقة الفنون، كما أن مديرة المركز السيدة إيمان حموري كانت من بين أعضاءِ الفنون سابقاً. استقل المركز إدارياً وبقيت العلاقة الحميمة تربطنا معاً. يدير المركز مدرسة رقص كل مدربيها من أعضاءِ الفنون، ويقدم مشاريع تدريبية في المناطق الأقل حظاً وجاري العمل حالياً على التخطيط لتأسيس مدرسة رقص ذات منهاج أكبر لخدمة فرق الرقص الاستعراضي في فلسطين.

أنت تتولى دوراً إشرافياً كذلك في مهرجان فلسطين الدولي الذي ينظمه المركز سنويا..

صحيح، تم تعييني مديراً فنياً للمهرجان (متطوع) منذ ٦ سنوات لما اكتسبته من رؤيا فنية عبر مشوار طويل قطعته مع فرقة الفنون، نظم المركز حتى الآن ١٠ مهرجانات تقام سنوياً في فترة الصيف وتفتح المجال لمشاركات محلية وعربية وعالمية من أجل تحقيق تبادل ثقافي بين فلسطين وبقية العالم، وغالباً ما يستضيف المهرجان فرق فنية معروفة ذات توجهات تنموية سياسية اجتماعية واضحة، لا تقدم فن من أجل الفن وحسب، ويدخل كافة المشاركين إلى فلسطين بتصريح زيارة عبر المعبر البرّي لا بتأشيرات دخول عبر المطار لأننا بهذا نقترب من شبح التطبيع، مما يصعب علينا -للأسف الشديد- استضافة مشاركات عربية.

أحمد دغلس - خاص رمّان

وماذا بعد صور وذكريات... بماذا يحلم خالد قطامش؟

بدأنا فعلياً بالتحضير لعملنا الجديد الذي نأمل أن يرى النور مطلع العام القادم، لم يقع الاختيار على اسم له حتى الآن. عمل خاص بالفنون من الألف إلى الياءِ، من لوحات استعراضية إلى الموسيقى إلى الغناءِ، سيناريو عضو مجلس الإدارة ومؤسس الفرقة الشاعر وسيم الكردي الذي كتب العمل والأغاني، ونحن حالياً بصدد اختيار المخرج والموسيقيين.

بماذا أحلم..؟ أن نصل بعد 'صور وذاكرة' إلى مدى أبعد رويداً رويداً ليحمل هذا العمل والأعمال التي تليه فرقة الفنون والرقص الفلسطيني إلى فضاءات الرقص العالمي بعيداً عن أي تعاطف سياسي، وإنما لكونه رقص متطور إبداعي مهني موجود في فلسطين يستحق المشاركة في مهرجانات دولية لجودته العالية وروحه الجميلة.

romman.rafia@gmail.com

من أرشيف الفنون، العمل الفني «وادي التفاح» بير زيت ١٩٨٤ - تصوير عيسى فريج

العمل الفني 'صور وذاكرة'

عمل فني راقص مبني على أسلوب جديد في التعامل مع مخزوننا التراثي، تعرج الفنون من خلاله على محطات هامة من تاريخنا المعاصر، تمخر عباب الذاكرة الفلسطينية راصدة صوراً متكررة تتباين في بعض الأحيان وتتشابه في أكثرها لثلاث احتلالات: عثماني، إنجليزي، وإسرائيلي، وتفضي في استمرار التشابه إلى الضجر من ماض وحاضر لا يمهدان في توالدهما لمستقبل مغاير.. هذه الصور تؤكد على الإصرار على الحياة والصمود والمقاومة والأمل، وعلى تفوق أخلاق الضحية على عنصرية الجلاد في الدفاع عن كينونته واستقلاله، وتزيح الغبش عن مشهد الظلم الصارخ الذي ترسمه وحوش الغابة أدعياء الوداعة. وتؤكد على قدرة التذكر رغم طغيان مشروع المسح عن الخارطة ومن التاريخ..

الصور الأولى: ممنوع تجول عثماني
× رامناضول: تلاقح ثقافي موسيقى مصرية (ألبوم إيقاعات من العالم)، تصميم: شرف دار زيد وعطا خطاب
× مشعل: فراري أوامر موسيقى فلكلورية، إعداد طارق الناصر. تصميم: خالد قطامش، بمساعدة ناجح مسالمة، عطا خطاب، شرف دار زيد، نصير منصور.
× الحجل: المرأة وخصوصيتها موسيقى هيج بزجيان (ألبوم تالار)، تصميم: نورا بكر.
الصور الثانية: ممنوع تجول إنجليزي
× هزّي غربالك: فرحة الحصاد لحن فلكلوري إعداد رامي وشحة. غناء محمد يعقوب وفرقة يلالان. تصميم خالد قطامش، عطا خطاب، شرف دار زيد بمساعدة نورا بكر
× من زمان: تهجير وبيع مستمر
لحن فلكلوري عزف وغناء وتوزيع الثلاثي جبران من (ألبوم مجاز). تصميم: نورا بكر وربا زغموري.
× غبيشي: رفض الاستسلام موسيقى فلكلورية من مشروع المسح الميداني لمركز الفن الشعبي. تصميم: حسين اعمر.
× ثنائية: حب
موسيقى شربل روحانا. تصميم: نورا بكر.
الصور الثالثة: ممنوع تجول إسرائيلي
× نخوة: تحدي، وتضحية
موسيقى: سعد الحسيني. تصميم: شرف دار زيد وعطا خطاب بمساعدة ليلى البخاري وناديا خطاب.
× غزة: صور ذاكرة متكررة
موسيقى يا رايح صوب بلادي ألحان: أحمد قعبور توزيع وعزف نزار روحانا (ألبوم سرد) غناء محمد يعقوب. تصميم شرف دار زيد.
× أمل: التحدي بالأمل
موسيقى من البحر الأسود (ألبوم إيقاعات من العالم). تصميم خالد قطامش بمساعدة نصير منصور، مجدي كراكرة، نضال الكعبي.
الصورة الرابعة: إصرار
× حنجلة: الإصرار على الحياة
موسيقى عمر الفاروق. تصميم: خالد قطامش بمساعدة شرف دار زيد، عطا خطاب، حسين اعمر، نصير منصور، نورا بكر.

مركز الفن الشعبي

مركز الفن الشعبي مؤسسة أهلية فلسطينية تأسست عام ١٩٨٧ سعياً لخلق مناخات ثقافية إبداعية جديدة تسهم في الارتقاء بعلاقة أفراد المجتمع بالثقافة والفنون وتعزيز دورها ومكانتها في بلورة الشخصية الوطنية والفنية لفرق الرقص والموسيقى والغناء في فلسطين.

عمل المركز خلال سنوات العمل المتواصلة على نشر وتعميم الثقافة الفنية في المجتمع عبر تنظيمه للعديد من المهرجانات والفعاليات الفنية المحلية والدولية وعقد الدورات التعليمية في مجالات الرقص والدبكة الشعبية وتنفيذ العديد من المشاريع والبرامج التعليمية والثقافية التي استهدفت مختلف فئات المجتمع، وبالأخص فئتي الأطفال والشباب.

استطاع مركز الفن الشعبي على مدى أكثر من عشرين عاماً أن يحقق النجاح في تعميق الاهتمام الشعبي والمجتمعي بالثقافة والفنون وامتد نشاطه ليشمل مناطق أوسع في معظم المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية، محققاً بذلك التواصل الثقافي الحضاري بين فلسطين والعالم عبر نشاطاته وفعالياته المتنوعة.

مدرسة الرقص

تشرف مدرسة الرقص سنوياً على تنظيم مجموعة من الدورات التدريبية في مجالات الرقص الشعبي والرقص الحديث، كالدبكة الشعبية الفلسطينية ورقص البالبه والسالسا والجاز والرقص الإبداعي والمعاصر، وتستهدف الدورات فئة الأطفال ما بين ٦-١٤ سنة وكذلك فئة الشباب والكبار ممن يرغب من كلا الجنسين في تعلم أصول هذه الفنون الإبداعية، حيث يفتح باب الانتساب للمعنيين على مدار العام.

تشرف المدرسة على تنظيم الورش التدريبية المتخصصة للراقصين ومدرّبي الدبكة في مواضيع الدراما والإيقاع واللياقة البدنية وأساليب التدريب، وذلك بإشراف مصممين ومدربين محترفين محليين ودوليين. وقد ساهم المركز من خلال مدرسة الرقص في إنشاء فِرق دبكة في أنحاء مختلفة من الضفة الغربية.

ويعتبر مركز الفن الشعبي المؤسسة الأولى التي اهتمت بتنظيم دورات في الرقص الشعبي وأنماط أخرى من الرقص في فلسطين منذ عام ١٩٩١، إذ تعقد الدورات في قاعة المركز ضمن برنامج يومي، ويقوم المركز حالياً بتطوير منهاج لمدرسة الرقص.

مهرجان فلسطين الدولي للرقص والموسيقى

شكل مهرجان فلسطين الدولي وسيلة ثقافية فنية إبداعية للاتصال بالعالم أسهمت في كسر الحصار الذي فرضه الاحتلال على الشعب الفلسطيني منذ عقود، مشكلاً قيمة ثقافية وفنية لدى الجمهور الفلسطيني. وقد بادر مركز الفن الشعبي عام ١٩٩٣ إلى تنظيم هذا المهرجان ليكون أول مهرجان دولي في فلسطين واستطاع المهرجان على مر السنين أن يساهم في تشجيع وإلهام الإنتاج الإبداعي للفنانين والمبدعين الفلسطينيين، وخاصة الفرق الفنية المحلية.

استضاف المهرجان العشرات من فرق الرقص والموسيقى العالمية من بلاد مختلفة كإسبانيا، إيطاليا، اليونان، تشيلي، مصر، الأردن، فرنسا، المغرب، تونس، الجزائر، العراق، بريطانيا، وتركيا، منها على سبيل المثال لا الحصر: الفنان لطفي بوشناق، الفنان إلهام المدفعي، الفنان صابر الرباعي، الفنان رشيد طه، فنان الراي الجزائري الشاب فضيل، الفنانة أحلام، فرقة نار الأناضول، فرقة بافوتشي، فرقة كيلا بايون، فرقة ستومب، وفرقة جل جلاله المغربية. كما استضاف العشرات من فرق الرقص والموسيقى والغناء المحلية إسهاماً منه بظهورها وانتشارها.

جذب المهرجان سنوياً حضور وتفاعل آلاف المواطنين الذين قدموا من مختلف القرى والمدن في الضفة الغربية ومن داخل الخط الأخضر. ولتعميق التواصل بين تلك المدن والقرى المقطعة الأوصال وبعد توقف المهرجان مدة خمس سنوات، عمدت إدارة المهرجان منذ عام ٢٠٠٥ إلى توزيع فعاليات المهرجان على العديد من المحافظات لتشمل رام الله، القدس، بيت لحم، جنين، الخليل، طولكرم، قلقيلية، سلفيت، ونابلس وذلك لكسر الحصار المفروض عليها من قبل الاحتلال، وللتغلب على ظروف التنقل الصعبة بسبب إقامة جدار الفصل العنصري ونشر الحواجز العسكرية.

فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية
www.el-funoun.org

مركز الفن الشعبي
http://www.popularartcentre.org

مهرجان فلسطين الدولي
http://www.popularartcentre.org/festival٢٠٠٩

مقالات لعزمي بشارة وأحمد قطامش وآخرين
http://www.el-funoun.org/arabic/articles.html

متروبولين الماضي

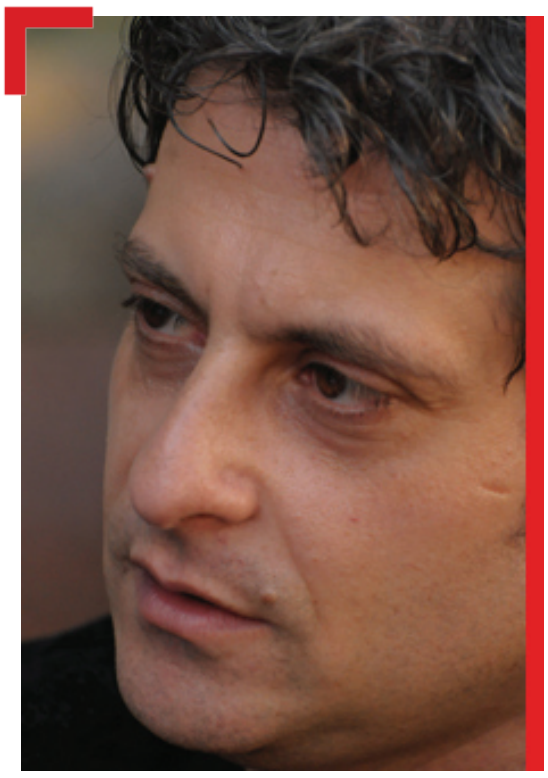

ماذا أصاب الناس في أول أسبوع من أيار؟ ولماذا يتذكر الجميع بهذه الكثافة والآن بالذات أسماءِ القرى التي ابتلعها متروبولين تل أبيب ...قلب إسرائيل الثقافي والإقتصادي النابض؟

ففي يوم الأحد حيث أشرف على ورشة كتابة إبداعية في يافا... يداهمني التلاميذ بنصوص تستحضر البلدات والنواحي التي كانت تحيط بيافا (دون ان أطلب من أحد هذا)...هكذا ومن دون سابق تحضير وفي لقاءِ كان من المفترض أن نتحدث فيه عن الفظاظة وتوظيفاتها الأدبية ومن ثم عن الحوارات وقيمتها الجمالية في النص ...تحولنا فجأة ومن خلال نص مداهم الى الحديث عن "جماسين الغربية" و "جماسين الشرقية" من خلال تلميذ مشارك في الورشة توقف عن القراءِة وأخذ يشرح لنا عن جده المنحدر من جماسين التي يحل محلها الأن حي برجوازي مسالم يلامس صخب المدينة ولكنه يتنكر له وهو حي "بابلي" الذي يسمى ايضا حي النساءِ المطلقات ، نسبة للعنة الطلاق التي تحل بكل من تسكن هناك ...هذه جماسين الغربية الأقرب الى البحر..أما جماسين الشرقية فهي ووفق ما آل اليه حوار الورشة الإبداعية من صراع حول دقة المعلومات ومن يملكها ..فهي تقع فيما يعرف الأن ببورصة المجوهرات في رمات جان وهي منطقة تعج بالرجال الأغنياءِ بملامح حادة جدا وقاسية ونساءِ قليلات تعملن بين السكرتارية والدعارة على أشكالها ...إذا بت أعرف عن جماسين ...أما جدة تلميذي (الذي يعمل في الليل كعارض دراج كوين في إحدى حانات تل أبيب المحترمة) فهي من المنشية ومن إحداثية متناهية الدقة...وهي بالتالي (أي الجدة) كانت تعتبر نفسها أكثر برجوازية ومدينية من زوجها بسبب تحول بلدتها الى حي شمالي من مدينة يافا مما نزع عنها لعنة الريفية...قضمت أحياءِ تل أبيب الجنوبية حي المنشية الذي تحول تجمعات إنسانية بتلون لا تصدق عبثيته...يقول لي أحد الطلاب: لو بقيت المنشية لكانت الأن جوهرة شرق المتوسط (يعمل هذا التلميذ في مركز لإغاثة المراهقين الذين يعملون بالدعارة).

وفي يوم الإثنين أجلس مع صديقة في مقهى على طريق سلمة أو شلومو لنتناقش فجأة حول تداعيات الأسم وهل بالفعل إذا قطعنا الطريق التي تبتر المدينة من الغرب الى الشرق فإننا سنصل قرية سلمة الماثلة آثارها حتى يومنا هذا ضمن حي مهلهل يسمى كفار شاليم...إذا فلنكمل الطريق حتى أقصاه لنرى إن بلغنا أطلال القرية أو لا...

في يوم الثلاثاءِ أقصد مكتبة جامعة تل أبيب فأصادف زميلا "تقدميا" من أولئك الذين يبذلون جهدا فظيعا لإثبات شرعية اللقب، يؤشر لي الرجل نحو بيت شكله غريب ولا ينتمي للطراز المعماري الرتيب الذي يميز أغنى احياءِ البلد –حي رمات أفيف...هل ترى؟ أتعرف ما هذا ؟ إنه من أثار بلدة الشيخ مؤنس...

اتلقى في يوم الأربعاءِ هاتفا من صديق عالق في أزمة سير على مشارف تل ابيب الشمالية الشرقية وتحديدا قرب مدينة بيتاح تكفا – ويقولها لي بتهكم منمق : قرب قرية ملبّس (يعمل هذا الصديق اخصائيا نفسيا في قسم سرطان الأطفال في إحدى المستشفيات...

في يوم الخميس يتم اكتشاف جثة متحللة في بنايتي ليجري نقلها الى مشرحة "ابو كبير" المقامة على أراضي قرية أبو كبير :هذا ما يقوله لي جاري الذي لم أكلمه في حياتي...قد يكون هو القاتل ..ويحاول الإختباءِ من وراءِ الاعيب التاريخ... ومكر الماضي...

أما في يوم الجمعة ..فتهبط على كتفي فراشة هاربة من يازور..

أتأمل في يوم السبت الخارطة من جديد وكأن شيئا سيتغير ويفوتني في لحظات أغمض فيها عيني

سينما جنين على أهبة فتح شباك التذاكر.. صار الحلم أقرب!

رحمة حجة - جنين (رمّان)

كان يرسم أحلاماً غضّة في العيد، يبرقها للغيم المارق فوق أسقف المخيم، و لم يدر حينها أن عيناً شريرة تراقب فرحه من بعيد، لتعقد النية على اصطياده بالنار و البارود... فيعلن بصرخته اقتراب الرحيل.. لكن، ماذا حدث بعد أن استشهد أحمد إسماعيل الخطيب(١١ عاماً) قبل خمسة أعوام؟؟

قال والده إسماعيل الخطيب في إحدى المقابلات الصحفية "المحتلون اختاروا الموت لابني و نحن نريد الحياة لجميع الأطفال".. الشيءِ الذي يعزو إليه تبرعهم بأعضاءِ أحمد لتجدد النبض في أحشاءِ ستة أطفال، اثنان منهم عربيان و المتبقين يهود، مضيفاً " بأنه يشاهد أحمد في كل طفل من هؤلاءِ، فأحمد ما زال يتنفس و يلعب، لم يمت بعد.. "

قلب جنين

لم تكن قصة أحمد بالحدث العادي وسط كل ما يجري من أحداث عنف و دمار على الساحة الفلسطينية، الشيءِ الذي استدعى كاميرا المخرجين الألماني ماركوس فيتر و الإسرائيلي ليئور جيللر لينتجا فلماً وثائقياً (قلب جنين) يبحر في تفاصيل هذا الحدث، و لكن، في أثناءِ تصوير الفيلم، قرر فيتر الذهاب إلى جنين لاستكمال القصة من أصحابها في مخيم جنين، إلا أن الإسرائيليين حذروه الاقتراب من جنين مدعين أنها مكان خطر لا يتمتع بأي من مقومات الأمان للغرباءِ! و بالرغم من كل ما قالوه صمم على دخول جنين، ليجد الأوضاع مغايرة تماماً، و لا علاقة لها بادعاءِات الإسرائيليين، ما دفعه للسعي إلى مساعدة أهالي جنين لتغيير الفكرة المشاعة عنهم، و حين رأى مبنى سينما جنين المهجور، فكر في كيفية إعادة إحيائه، ليصبح منبراً يشيع التواصل بين جنين و العالم.. و من هنا أول الخطو...

سينما جنين.. أكثر من مشروع سينمائي

يوضح لنا مدير مشروع سينما جنين فخري حمد بداية العمل الذي انقسم لمرحلتين، أولاهما التحضيرية التي تم فيها التخطيط و البحث عن جهات ممولة للمشروع، و بدأت في شباط من عام ٢٠٠٨، و ثانيهما التنفيذية التي بدأ فيها العمل الفعلي و بدأت في آب من عام ٢٠٠٩ و ما زالت مستمرة لغاية الآن.

أما عن أهداف المشروع و الجديد الذي ستقدمه سينما جنين للمواطن الفلسطيني، فيضيف حمد، بأن الفكرة الأساسية التي انبثق عنها المشروع هي إخراج جنين للعالم بالصورة الحقيقية النقية بعيداً عن زيف الادعاءِات، عوضاً عن إيجاد مكان ترفيهي للأطفال و الشباب عائلاتهم في جنين، و لن تكتفي السينما بالدور الترفيهي المعروف، بل ستتخطاه إلى التعليمي و التثقيفي، إذ سيتم عقد دورات تدريبية في المسرح و إنتاج الأفلام الوثائقية، و إنشاءِ فرق فنية فلسطينية تمثل محافظة جنين، و تعليم اللغة العربية للأجانب، و ستحتوي أيضاً أول مكتبة فيديو عامة يستفيد منها الباحثون و الدارسون، بالإضافة إلى تعزيز ثقافة التطوع لدى الشباب في طريق البحث عن ذواتهم ضمن البرامج المطروحة المعقودة على نية إنجاز الأفضل، مؤكداً على أهمية المشروع باعتباره جزءِا من ثقافة المقاومة الفلسطينية، و قدرته ليس فقط على خلق نواة تخرج فلسطين بشكل عام و جنين بشكل خاص للعالم، إنما بذرة لجمع رجالات اقتصاد فلسطينيين بآخرين أجانب، من شأنهم تكريس التعاون الفعّال بما يخدم المصلحة العامة، و بذور أحد تلك المقاربات الاقتصادية ستؤتي ثمارها عما قريب في مشروع صناعي يوفر الكثير من فرص العمل للعاطلين عنه.

كما ستكون سينما جنين بحد ذاتها مكاناً يوفر العديد من فرص العمل ضمن برامجها المختلفة، منها شركة التوزيع و استوديو الصوت.

ما ميزة العرض في سينما جنين؟

سيتم استخدام تقنيات للعرض في سينما جنين للمرة الأولى في العالم، إذ سيكون نظام البث ٣٥ملم، رقمي (ديجيتال) و ثلاثي الأبعاد، بالإضافة إلى أنها ستعمل على الطاقة الشمسية، و تخصص جزءِا منها يدعى "السينما الصيفية".

غياب الدعم العربي.. و حضور "الإسرائيلي" !

يقدم الموقع الإلكتروني للمشروع، و المطبوعات المنشورة له كامل الشكر للجهات الداعمة، تلك

التي بدأت التدرج من الحكومة الألمانية، مروراً بمؤسسات أوروبية و أميريكية و "لإسرائيلية" و أخرى من جنين، أما الأسماءِ العربية من باقي الأقطار العربية و المؤسسات الفلسطينية باستثناءِ العاملة في مدينة جنين فلم تقدم شيئاً، حول ذلك الاستفسار، يجيبنا حمد بأنهم توجهوا إلى مؤسسات و شركات في الوطن العربي، لكن لم يتم تقديم دعم عربي حقيقي للمشروع، و حتى القطاع الخاص الفلسطيني لم يقدم جواباً شافياً لدعوتهم بالشراكة، مشيراً إلى الدعم الذي قدمته السلطة الفلسطينية ممثلة بوزارة الثقافة، أما بالنسبة لوجود "الإسرائيلي" من الأسماءِ (سينما) الداعمة، يوضح أن أصحابهما من الأشخاص الذي يحاربون لأجل الفلسطينيين و قضاياهم العادلة، و من جهة أخرى يقول مدير العلاقات العامة في المشروع طارق سويطات، بأن ٩٥٪ بالمئة من الدعم الذي تم تلقيه هو دعم عيني، فالحكومة الألمانية التي تمثل الداعم الأكبر قدمت دعما عينياً من أثاث مكتبي و طاولات و أجهزة خاصة بالعرض السينمائي، أما التمويل لم يكتمل بعد، و ما زال المشروع بحاجة لشراكات أخرى لإتمام مخططاته مثل السينما الصيفية و الحديقة الخارجية، و من هذا المنطلق وجه سويطات الدعوة للجمهور الفلسطيني و العربي ليكون شريكاً في الإنجاز ، مضيفاً بأن السينما ستكفل مستقبل تنظيم مواردها المالية كي تصبح بمعزل عن الدعم الخارجي، فتدعم نفسها ذاتياً من خلال عوائد الكافيتيريا و الدورات التدريبية و شباك التذاكر بالرغم من القيمة الزهيدة لسعر التذكرة (٥ شيكل)، و ذلك حتى قبل انتهاءِ الموعد المخطط له للاستغناءِ عن الدعم (٥ سنوات).

و الجدير ذكره، أن المشروح يطرح فكرة دعم مقعد في السينما بقيمة ١٠٠٠ يورو، يكتب اسم المتبرع على المقعد، يعزوها حمد إلى أنها تمنح فرصا للشركات و المؤسسات الصغيرة لدعم المشروع، مشيراً إلى أن صاحب (بقالة سينما جنين) المدعو "عارف السينما" كان أوّل المتبرعين بالألف.

كما يخبرنا حمد عن الطموح الأوسع لمشروع سينما جنين، بأنهم سيسعون لأن تكون سينما جنين اسماً جديراً بالثقة في مختلف دول العالم، حيث تحط فروعه كل أرض تواقة لمثل هذا العمل، و يكون النواة الداعمة لمشاريع خارج حدود فلسطين.

وجود دعم "إسرائيلي" يفتح باباً لمشاركتهم سواءِ على المستوى السينمائي أو في حفل الافتتاح، ما احتمالية حصول هذا الشيءِ؟

يجيب حمد بأن جنين تفتح بابها لأي إنسان كان ما دام مؤمناً بحقوق الشعب الفلسطيني، و بالطبع لن يأتي للاحتفاءِ بمشروع انفتاح جنين على العالم أحد من أولئك المحاربين لقضايانا، و هذا ليس وارداً في أجندة أي منهم بالتأكيد. أما بالنسبة للأفلام التي سيتم عرضها، لن تمنع إدارة السينما عرض أي فيلم "إسرائيلي" ما دام يخدم القضية الفلسطينية.

جولة في المكان

يصطحبنا سويطات في جولة داخل مشروع الترميم و الإعمار، حيث العمال لا يرون بين الخشب الشائك المتشابك في سقف السينما، تتخلله الإضاءة اللازمة للعمل، و لكن أين مقاعد الجمهور؟ تم أخذها ليعاد تشكيل المقاعد على ذات الهياكل الحديدية التي ما زالت حتى تلك اللحظة جاثمة في السينما منذ عام إنشائها (١٩٥٧م) و الفكرة من ذلك كما يفسر لنا سويطات هي منح الفرصة للجيل الشاب الشاهد على العصر الحديث بأن يجلس على نفس المقاعد التي جلس عليها أجداده و آباؤه يوماً ما، يتحسسون من خلالها حلاوة الذكرى.

الجزءِ السفلي من السينما تمت توسعته كي يستوعب العروض المسرحية و الفنية بالإضافة إلى عروض الأفلام، و ما زالت أجهزة العرض الخاصة بالصوت و الصورة على أهبة انتظار الافتتاح، كي يكون كل جزءِ منها في مكانه.

و خارج المكان يستعد لتأسيس مدرج للجمهور(يتسع ل ١٢٠٠ شخص) حيث السينما الصيفية، التي ستعرض أفلامها في الهواءِ الطلق، إلى جانبها حديقة ترتاح في كنفها العائلات التي أتت للاستمتاع بالعروض.

متى ستشرع السينما أبوابها؟

يجيبنا حمد بأن الافتتاح سيكون في آب القادم، و سيدعى إليه العديد من الشخصيات الفنية العربية و الفلسطينية، حيث سيتعرفون عن قرب على الواقع الفلسطيني، ثم في تشررين الثاني مهرجان الأفلام العالمي الأول، يليه مهرجان أفلام المرأة الفلسطينية، عروضات جماعية لأفلام ذات علاقة بالأطفال و ذوي الاحتياجات الخاصة و أفلام قصيرة عمل بها أطفال و شبان فلسطينيين.

أما عن طبيعة الأفلام التي سيتم عرضها، فيؤكد حمد أن السينما تثق بالجمهور و لن تعرض الأفلام بناءِ على تجاريتها، و سيتمكن الجمهور من اختيار فيلمهم الأسبوعي الذي يصوتون له بطريقة تنظمها السينما، بالإضافة إلى رغبة هدف المشروع في زرع فكرة الفيلم الوثائقي و الأفلام ذات الرسالة الواضحة التي تحترم وعي الجمهور.

/http://www.cinemajenin.org/new

http://www.horria.org/romman.htm

قناة مكس توحد الفلسطينيين بعد ٦٢ عاما على النكبة

وكالة معا الإخبارية - بيت لحم:

ن

يلقى برنامج نيو ستار الذي تبثه قناة مكس الفضائية مشاهدة متزايدة في فلسطين خصوصا بعد اقتراب البرنامج من مراحله النهائية لتتويج نجم البرنامج لهذا العام .

ومع اقتراب البرنامج من نهايته تعلقت قلوب الفلسطينيين في كل مكان مع أصوات الفنانين الفلسطينيين الذين اشتقنا لسماع أصواتهم من فلسطيني عام ٤٨ وبدأ الأهل يتذكرون الماضي ويتحدثون عن المدن والقرى التي أتى منها هؤلاءِ المطربون وخصوصا أن بعضهم من القرى والمدن المهجرة وبعد أن شاهدوا تقارير تلفزيونية عن هذه المدن والقرى .

مدير برنامج نيو ستار الفنان الفلسطيني أمير حمام تحدث بفخر عن تجربة (نيو ستار) وقال: "استطعنا ان نعيد الصوت الفلسطيني على خارطة الغناءِ العربي وقال: "نحن عرب .. نحن فلسطينيون وسنبقى وبرنامجنا هذا اثبت ان ٦٢ عاما لن تطمس هويتنا العربية والفلسطينية ، فهؤلاءِ الشباب والشابات وبعمر الورد يمثلون جيل جديد ولكن أصواتهم تصدح ملءِ الفضاءِ نحن فلسطينيون شاءِ من شاءِ وأبى من أبى"

وتحدث حمام عن الاستعدادات للموسم القادم من (نيو ستار) فقال " لقد كانت تجربتنا الأولى لبرنامج خص للفلسطيني ٤٨ ولكننا بصدد الإعداد للموسم القادم للبرنامج والي سيكون للفلسطينيين في كل أماكن تواجدهم (الضفة الغربية وقطاع غزة وفلسطيني ٤٨ والشتات) وسيكون مقدمة لانطلاق برنامجنا لاحقا للبعد العربي إنشاءِ الله .

وقناة مكس فضائية فلسطينة عربية حصلت على ترخيصها من دولة البحرين ويملكها الإخوة حمام من حيفا وهم عائلة فنية ورجال أعمال فلسطينيين بالشراكة مع مروان كمال الدؤود ابن المرحوم كمال الدؤود ممثل الأردن في جامعة الدول العربية وتبث على القمر العربي على التردد ١٠٨٩٢ - قمر النايل سات. ولديها استوديوهات في كل من حيفا والضفة الغربة.

وبدأت بثها قبل ١٨ شهر وكان باكورة إعمالها وانتاجاتها البرنامج التلفزيوني (نيو ستار) إضافة لمجموعة من البرامج الأخرى .

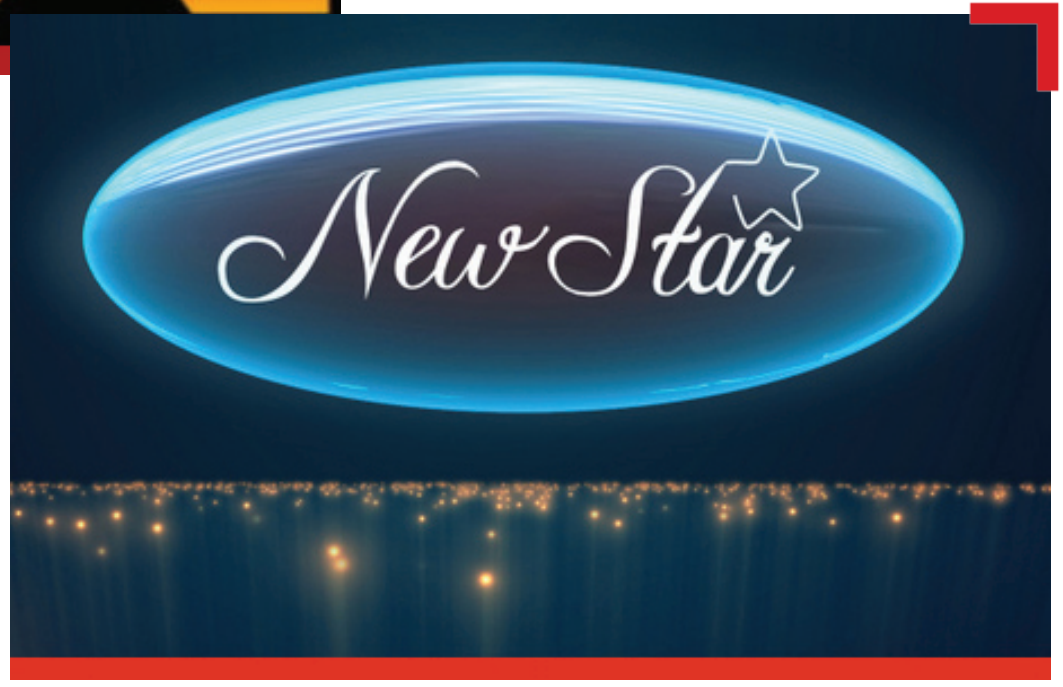

وأما عن مراحل تطور القناة وأهدافها فيقول رجل الأعمال سامر حمام مدير عام قناة مكس إننا بصدد عمل شراكة مع مؤسسات إنتاجية في فلسطين ومنها شبكة معا لإنتاج برامج تعبر عن الفلسطينيين أينما تواجدوا وعن أحلامهم وطموحاتهم تفرح لفرحهم وتبكي لإحزانهم نسعى أن نقدم الفلسطيني للعالم كانسان صاحب قضية وفكر وثقافة وفن" .

وأضاف سامر حمام :" أقولها للعرب انتظرونا نحن قادمون سنعود لنحتل مكانتنا التي نستحق في عالم الإعلام والفن والثقافة والأدب .. نحن الفلسطينيون قادمون لنستعد مكانتنا الثقافية والفنية في قلوب المشاهدين العرب أينما تواجدوا ."

وأما بالنسبة للبرامج الجادة والسياسية فقال سامر حمام من المتوقع خلال الأشهر القليلة القادمة وبعد ترتيب كافة إجراءِ الربط البيني بين استوديوهاتنا في الضفة وغزة وحيفا البدءِ بإنتاج نشرة أخبار مدتها ساعة يوميا إضافة لبرامج حوارية مختلفة تناقش الهم الفلسطيني اليومي .

وعن الدراما تحدث مدير عام قناة مكس قامت بشراءِ المسلسل الفلسطيني الفريق والذي أنتجته معا وسيبث على شاشة مكس في شهر رمضان وقال أن هذا المسلسل مثل به أكثر من مئة فنان نصفهم من فلسطيني ٤٨ وصور في أكثر من ٦٠ موقع منها مدن حيفا ويافا وعكا والقدس وبيت لحم ورام الله وغيرها .ووعد مشاهدي قناة مكس بمزيد من المسلسلات والمفاجئات قريبا .

«لا ملائكة في رام الله» لإيناس عبدالله

رام الله - (رمّان)

ن

صدر عن دار فضاءات للنشر والتوزيع- الأردن رواية " لا ملائكة في رام الله" للروائية الفلسطينية إيناس عبدالله وجاءت الرواية في ٢١٢ صفحة من القطع المتوسط، ،وقد أنجز الغلاف بفنية عالية الفنان نضال جمهور.

رواية عشق ووطن وأحلام تم اغتيالها هي رواية "لا ملائكة في رام الله" لإيناس عبد الله، وهي رواية الشارع الفلسطيني بامتياز، إنها، وان كانت تقشر الصراعات الدائرة داخل الأرض المحتلة من خلال علاقة سيف ببطلة الرواية هبة، لا تتبنى موقف أي جهة من الجهات، وإنما تعري كل الأطراف التي تآمرت على رام الله، وعلى الإنسان الفلسطيني بقصد إيصاله إلى حالة مغرقة في الهروب واللامبالاة. إنها تطرح الصراع مع المحتل و المواجهة والاشتباك الدائمين مع هذا المحتل الذي لا تمتلك البطلة إلا أن تعلن إعجابها بقدرته على تزييف الحقائق، وامتهان الخداع، في الوقت الذي لا تستطيع فيه آلة الإعلام العربي أن تظهر الحقيقة المرة والقاتلة كما هي.

المكان (رام الله) في هذه الرواية يكاد يكون بطلا رئيسيا، بحيث تجعلنا إيناس عبد الله ننحني أمامه تارة، ونكاد ندير وجوهنا عنه تارة أخرى.

بين العشق والعشق، بين الحياة والموت، بين الهرب والمواجهة، وبين الدم والدم يفتش فارس وهبة عن ملائكة رام الله التي لاذت بصمتها واشمئزازها من كل ما يحدث بعد أوسلو في رام الله

ليعلنا تأبين الحلم الفلسطيني، أو لربما العمل على محاولة استيلاده من جديد، من خلال الأسطورة الكنعانية/ يلود وأولئك الأبناءِ الذين يولدون من قمر.

بلغة سردية يكاد الشعر يحتضنها حد النزف كتبت إيناس عبدالله روايتها عن رام الله وابطالها الذين قد تصادفهم في شارع "ركب" في المدينة، أو في أي مفردة داخل الرواية حتى يمكن القول انك لن تفلت من عشقك لهبة، أو حبك لفارس، أو ضياعك فيهما حد الخواءِ، والبحث عن ملائكتك الخاصين بك.

يا زهر ال رمان .. ميل بهالبستان
أغنية فيروزية

البيت في التراث الفلسطيني مكاناً قصياً على الاقتلاع وذاكرةً تأبى الضياع

سامح كعوش×

لأن للتاريخ ما يقوله في علاقة الإنسان بالمكان، يبقى القول شعرياً بامتياز، في الواقع وما يستعيده من ماضٍ بالمواجهة للنسيان ورهان انقراض الكائن وضياع الأثر، باستحضار المخزون في الذاكرة عن المكان، عن البيت، والأزياءِ والحرفِ والصناعات التي مدّت الإنسان بمقومات استمراره وبقائه في هذا المكان، الوطن.

وإن لسان حال الفلسطيني اليوم، يعلّم الجيل الثالث بعد النكبة مثلاً شعبياً يقول "الدار دار أبونا وإجو الغرب طردونا"، الفلسطيني لاجئاً عن أرضه وفي بعض أرضه، مستعيداً أسماءِ قراه التي محتها عن الأرض جرافات احتلال، وغيرت ملامحها اللغة الغريبة، والألسنة الغريبة، والوجوه الغريبة، ومحاولاً ترسيخ ذاكرة الجماعة عبر إحياءِ التراث ونسبة الموروث في اللغة والأمكنة إلى أهله وأصحابه، لا إلى الغرباءِ عن هذه الأرض، أشكيناز أوروبا والمهاجر القصية، هذا الفلسطيني يردد ما رددته الإعرابية التي حكت عنها روايات المؤرخين، في رفضها الرائع للاقتلاع من أرضها وبيئتها وبيتها، قالت:

"لبيت تصفق الأرياح فيه
أحب إلي من قصرٍ منيفِ
وأكل كسيرةٍ من كسر بيتي
أحب إلي من أكل الرغيفِ
ولبس عباءةٍ وتقر عيني
أحب إلي من لبس الشفوف".

كأننا نقف عند جدارية الوقت الباقي، الواقف في منتصف الطريق بين ذاكرتين، قديمة وجديدة، بين مكانين، يحمل الأول اسمه ورسمه ووجوه أصحابه، أما المكان الجديد فمحفّزٌ على الرفض، ومُشيرٌ إلى وجهة واحدة وحيدة، تقيمُ ارتباطاً وثيقاً بمكانها الأصلي، المختزن في الموروث كأجمل ما يكون المكان، شجراً وبشراً وخضرةً أزليةً، فإذا لم يتسع المكان لهذا المكان الأصل، اتسعت له الرؤية بالعين، والرؤيا بالذاكرة، وأقام صاحبها الفلسطيني لمكانه خيمةً على الأرض، وغيمةً في السماءِ، يشدّ تلك الخيمة بأوتاد الحلم بعودة ستكون يوماً، ويعلّق تلك الغيمة بحبالِ الرجاءِ بسلام مستحيل، وحمام زاجلٍ لا يصوّبَ إليه الجنود رصاصاتهم القاتلة.

يقول الدكتور محمد علي الفرا في كتابه "تراث فلسطين": "اعتاد الفلسطينيون بناءِ غرفة فوق إحدى غرف الدار تسمى «علّية» نظراً لعلوها عن باقي الغرف وتستخدم في النوم في ليالي الصيف الحارة، أو تستعمل مثل صالة حيث ينفرد بها صاحب الدار بزواره من الرجال، ويمكن الصعود إلى هذه «العلية» بواسطة درج بسيط يسمى «سلملك» وهي كلمة تركية، ومن أجل الحماية، وخشية من وقوع الناس، وبخاصة الأطفال كان يوضع عليه درابزين، والذي كان يطلق عليه «حضير» وهي على ما يبدو تحريف لكلمة حذر لأنه يحذر ويمنع الناس من السقوط، وكان أثاث البيت بسيطاً للغاية، ويتألف من البسط الصوفية في فصل الشتاءِ، والبسط القطنية في الصيف، وتسمى «قياسات» ومفردها «قياس» وكذلك كانت تستخدم السجاجيد العجمية وبخاصة في بيوت الموسرين من الناس"، يقول الشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش في قصيدته " فكر بغيرك":

"وأنتَ تُعدُّ فطورك، فكِّر بغيركَ
لا تَنْسَ قوتَ الحمام
وأنتَ تخوضُ حروبكَ، فكِّر بغيركَ
لا تنس مَنْ يطلبون السلام
وأنتَ تسدد فاتورةَ الماءِ، فكِّر بغيركَ
مَنْ يرضَعُون الغمام
وأنتَ تعودُ إلى البيتِ، بيتكَ، فكِّر بغيركَ
لا تنس شعب الخيامْ".

آثار طاحونة من قرية ميرون

والحنين عند الفلسطيني يعني إبحاراً في افتراض الوهم، واعتقاد تحقق المكان بجزئياته و تفاصيله ، واستعادة أشياءِ حميمة، جبلاً أو تلاً أو رابيةً كان يأوي إليها، وشجرة كان يرعاها بماءِ سمائه ودماءِ أبنائه ودمع نسائه وعرق جبينه، ليحتويه الدفءِ و الفيءِ منها معاً، سنديانة هناك يركض الأطفال حولها ويندسون في جوفها الضيق الذي لا يتسع، لكن يكبر ليصير عرزالاً وكوخاً، إذ يذكر الدكتور محمد علي الفرا في كتابه "تراث فلسطين" "أنه في فصل الصيف وحينما يشتد الحر، كان كثير من الناس يبنون في ساحة الدار عريشاً من الخشب، ويغطى سقفه بسعف النخيل أو بأوراق العنب المزروع من حوله. ويقضون في العريش أو كما يسمى «العريشة» أوقاتاً يكون فيها المكوث في الحجرات صعباً من شدة الحر، وفي وسط الدار كان يُبنى خزان اسمنتي صغير

يسمى «بُتيِّة» لخزن المياه التي يستخدمها أهل الدار، أما الزير فكان يوضع في مكان ظليل، ويخصص للشرب فقط، وفي بعض البيوت كانت تحفر آبار للحصول على المياه الجوفية، وبعضها كان يستخدم لتجميع مياه الأمطار وتخزينها"، وتضيف بعض كتب التراث أن بعض الفلسطينيين، وبخاصة الذين يملكون أراضي زراعية خارج القرى والمدن كانوا يقضون الصيف في المزارع والحقول والبساتين حيث يبنون المباني البسيطة، والبعض كان يبني له خُصاً، والخص كلمة عربية فصيحة، وهو البيت من الشجر أو القصب وهو دائري الشكل وسقفه على هيئة قبة. ويفصل بين الاخصاص حائط مبني من الخيش أو أغصان وأوراقها ويسمى صيرة، وهي أيضاً كلمة عربية فصيحة بمعنى الحظيرة ويبنى من الحجارة وأغصان الشجر وجمعها صِيَرْ، وفي القرى أو في المناطق الزراعية المحيطة ببعض المدن الصغيرة كانت تُبنى اخصاص مغطاة بنبات الحلفا، يعلوها الطين الممزوج بالقصب. وكانت بيوت الحلفا هذه عبارة عن مساكن دائمة لهؤلاءِ الذين يعملون في الزراعة ويعيشون عليها، وكانوا يهتمون بتربية الحيوانات كالماعز والخراف والنعاج، فيستفيدون من لحومها وألبانها وصوفها، كما يربون الدجاج ويضعون له الماءِ في إناءِ يسمى مقر".

أو يصير البيت الفلسطيني بيتاً محفوراً في الجبل من حجره وصخره، وقريةٌ حملت أسماءِها العربية الكنعانية الأولى، ولم تكن يوماً إلا كذلك، فالبلاد كلها "فلسطين" وهي في الكنعانية "مورة" منذ الألف الرابع قبل الميلاد، والقرى هي ميرون وهي ميروم (المرتفع) عند الكنعانيين، وعين كارم باسمها الكنعاني القديم، وجنين "الماءِ والخضرة"، مجدل جاد " إله الحظ عند الكنعانيين"، طولكرم هي بيرات سورقا وتألفت من بيرات "بئر الماءِ"، وسورق "المختار"، بيت لحم هي "إيلولاهاما" و "افراتة" وتعني بيت الإله أو بيت الخبز، نابلس وهي في قصة هدهد النبي سليمان كنعانية اللفظ والمعنى، وقلقيلية من جلجالات وتعني الحجارة المستديرة في اللغة الكنعانية.

والحنين إلى المكان الأول قصيدة الفلسطيني ومصيدته، خروجه من زنزانة اللجوءِ إلى فضاءِ الحلم، ليصير الكون أكثر اتساعاً والذاكرة تراثاً مستعاداً الآن وكلّما احتاجت الذاكرة إلى بيتٍ لأشيائها واشتهائها، وهي اقتصاص المنفيِّ من المنفى، وخجله من شجر وزهر في حدائق غير حدائق بلده، ونايات الرعاة في مروجها الخضر، والحنين وجع الفلسطيني ووجهه، في ما يرثه مع قطرة الحليب الأولى في المهاجر والمخيمات من الحنين إلى بلاده، وترجيع خطاب العقاب للصهيوني الذي احتل بيته، الغريب الأوروبي الذي سكن كوخه و ترك بندقيته على كرسي الجد، و حفظ أمثال الفلسطينيين مثلهم دون أن يشم رائحة أصابعهم على فناجين قهوتهم التي تركوها على عجلة حين الفرار الجماعي من المجزرة المستمرة، تركوها للغريب الذي تكمل ابنته الشقراءِ سيرة أعمارهم التي هجروا بقاياها في البيت خلفهم، وهم لم يرحلوا ولكن رُحِّلوا ونزحوا عن المكان لكن بقيت الروح هناك، تستجدي ذاكرتها ألا تنسى، أو تحتمل الغياب، أو كما في قصيدة محمود درويش:

" للعدوّ الذي يشرب الشاي في كوخنا فرسٌ في الدخان
... لكنّه لا يحدّثنا عن مشاغلها في المساءِ
وعن فرسٍ تركته الأغاني على قمّة التلّ
في كوخنا يستريح العدوّ من البندقيّة
يتركها فوق كرسيّ جدّي
ويأكل من خبزنا مثلما يفعل الضيف
يغفو قليلاً على مقعد الخيزران
ويحنو على فرو قطّتنا".

ويقول درويش في موضع آخر:

"سلّم على بيتنا يا غريب
فناجين قهوتنا لا تزال على حالها هل تشمّ أصابعنا فوقها؟".

ويبدو البيت الفلسطيني وصورته في التراث في كل ذلك، جلياً واضح الملامح، في البيت الحجري وملحقه الخشبي "الكوخ"، وبينهما مسافةُ أشجار ذات ثمار، وأخرى للفيءِ والظلِّ والذكريات، وبئرٌ للماءِ وسماءٌ للأمل، تبرز علاقة الإنسان الفلسطيني بها في مثل شعبي حي إلى يومنا هذا "زي اللي قاس حدود أرضه على ظل الزيتونات".

ويشير الباحثون في التراث الفلسطيني إلى أنه قد شاع في المناطق الساحلية من فلسطين بناءِ المنازل المشادة من حجارة «طابوق» اسمنتية تصنع في قوالب خاصة، أما في المناطق الجبلية حيث يسهل الحصول على مواد البناءِ فقد شيدت المنازل من حجارة تستخرج من محاجر في الجبال، ويقوم على قطعها، وتقطيعها وتشذيبها رجال مختصون.

وكانت المساكن الفلسطينية في الماضي بسيطة ومتواضعة، وبخاصة في القرى والمدن الصغيرة والتي هي أقرب إلى حياة الريف منها إلى حياة الحضر، فكثير من البيوت كانت تبنى من كتل من الطين كانت تصنع في قوالب خاصة، وحتى يزداد تماسك هذه الكتل كان يضاف إلى الخلطة الطينية كميات مناسبة من سيقان الحبوب (كالقمح والشعير) المدقوقة والتي تسمى «قصل».

ومن ملحقات البيت الفلسطيني مضافةٌ هي مجلس الضيوف والزائرين، وملتقى العائلة والعشيرة، إن لم يكن في البيت غرفة مستقلةٌ للضيافة، يقول الدكتور علي الفرا في كتابه "تراث فلسطين" "وأما غرفة الضيوف، فكانت تفرش أرضيتها بالبسط أو السجاد، وعلى جوانبها كانت توضع حشيات من القطن يجلس عليها، وعليها مساند محشوة بالقطن اليابس يتكأ عليها، أو «يساتك» محشوة بالقطن المضغوط أو الملابس القديمة".

يجلس في المضافة الشيخ الكبير أو كبير العائلة، خطيباً مستعرضاً أحوال أفرادها ومشاغل حياتهم في بيت ضيافتهم الذي يتسع للقريب وللغريب وللمار والزائر والمضطر، "مضافةُ آلِ ..."، ويذكر الشاعر مريد البرغوثي هذه الأماكنَ التي اختزلتها ذاكرة الفلسطيني في "بيت" يحمل الدلالات كلها، والإحالات كلها، ويشير بإصبع التذكّر إلى شهوته أن يستعيدها، يقول:

"شهوة لوجود الرجال الذين بنوا فى المضافة

بيت الكرم وبيت النكات اللئيمة
بيت التهكم من كل عال قوي
وبيت المساءِ الطويل بطول الجدال
وإخبار كل البلاد كأن الحصيرةَ من تحتهم هيئةٌ للأُمَمْ".

ولا يزال الإنسان الفلسطيني في أماكن إقامته في فلسطين، وأماكن شتاته ولجوئه في بلاد العرب والاغتراب، يردد من موروثه الشعبي ذي الدلالة والعلاقة الوثيقة بحال شجنه وحزنه، يقول "يادار اذا عدت بأهاليكي لطليكي بالشيد وبالحنا لحنيكي".

هذا البيت الفلسطيني الذي عمر بأهله، كان مسقوفاً بالأخشاب وأغصان الأشجار وطبقاتٍ من الطين الممزوج بالقصب، وهذا النوع من الأسقف كان شائعاً في المساكن المصنوعة من الطين والتي كان يشترط صيانتها كل عام، وعقب أول تساقط للأمطار في تشرين أول (أكتوبر) والتي كان يطلق عليها "مطر الصليب"، كان الناس يعتقدون أن هذا المطر هو بمثابة تحذير لهم وإشارة على بدءِ موسم الشتاءِ، فالناس يتركون البر، ويعودون إلى منازلهم الدائمة، كما يقومون بتفقد بيوتهم وصيانتها حتى لا تُداهمهم الأمطار وتسبب لهم الأضرار.

وكانت أسقف بعض البيوت على شكل عقد من الحجارة الصغيرة المثبتة بالجص على هيئة الأسواق القديمة المسماة بالقيصريات، لأن هذا النمط من البناءِ يرجع إلى العهود الرومانية أيام حكم القياصرة، يقول محمود درويش شعراً: "... عم مساءً! وسلّم على بئرنا
وعلى جهة التين، وامش الهوينى على
ظلّنا في حقول الشعير، وسلّم على سرونا
في الأعالي، ولا تنس بوّابة البيت مفتوحةً
في الليالي
فلماذا يزور الضحيّة كلّ مساءٍ
ويحفظ أمثالنا مثلنا
ويعيد أناشيدنا ذاتها
ثم يخرج من كوخنا الخشبيّ
ويمشي ثمانين مترًا إلى بيتنا الحجريّ هناك
على طرف السّهل".

وكان الفلسطينيون يتخذون بيوتاً ذات شكل مستطيل، تبنى الغرف على أحد أضلاعه أو على بعض أو كل أضلاعه، ويجعلون في وسط الدار ساحة مكشوفة كانت تسمى صحن الدار، يستخدمونها في عدة أغراض، كأن يزرعوها ببعض الأزهار والشجيرات لتكون حديقة للدار والتي يجلس فيها أهلها مستمتعين بشمس الشتاءِ الدافئة، وبنسمات الربيع المنعشة، ويقضون فيها كثيراً من ليالي الصيف حيث يسمرون وبخاصة في الليالي المقمرة.

يقول الدكتور محمد علي الفرا في كتابه الذي يكاد يُعتبر مرجعاً وحيداً في الاستعادة التاريخية لدور "البيت في التراث الفلسطيني": "كثيراً ما كان يفصل بعض حجرات الدار صالة مفتوحة ودون حائط من الأمام وإنما تزينها عقود من الحجر، وكان يطلق على هذه الصالة «ليوان» وجمعها «لواوين» وربما كان أصلها من الايوان، ويستخدم الليوان في الولائم والمناسبات والأفراح، وفي داخل بعض الغرف كانت توجد في إحدى الحيطان ما يشبه الخزانة دون أبواب وإنما تستخدم ستارة من القماش لحجبها، ويطلق عليها «يوك» وهي على ما يبدو كلمة تركية، ويستخدم «اليوك» في حفظ اللُحف والمخدات ومرتبات «فرش» النوم والملايات والأغطية ونحوه، إذ كان معظم الناس ينامون على الأرض دون استخدام للأسرة".

ويستفيض الدكتور الفرا في وصف محتويات البيت الفلسطيني التراثي إذ يضيف أن ربة البيت كانت تضع صندوقها الخشبي المزخرف الذي صنع لها بمناسبة زواجها لتضع فيه ملابسها، ومجوهراتها وعطورها في غرفة نومها.

وأنه كان يوضع مقعد خشبي طويل في طرف من أطراف حجرة النوم، يفتح من أعلاه، ويستخدم في وضع بعض الملابس، وبخاصة القديمة، وكان يسمى "كراويت"، وأن حجرة الجلوس كانت تزيّن بقطع من الجساد الموشى بزخارف جميلة، أو بآيات قرآنية، وكان من يدخل إلى غرفة الجلوس يخلع حذاءه عند عتبة الحجرة ثم يجلس على حشية من حشيات القطن، وفي فصل الشتاءِ كان «كانون النار» جزءاً من مكونات حجرة الضيوف.

×شاعر وناقد أدبي فلسطيني

بريخت والقاسم مع سلمى

نايف خوري

بريخت:

يعتبر الشاعر والمسرحي الألماني بيرتولد بريخت من أهم الذين كتبوا للمسرح، لأنه وضع نظريته المعروفة بـ«التغريب» بعد أن رأى المدارس والأساليب المسرحية التي كانت سائدة في تلك الفترة في أوروبا. ولم ترق له الأساليب التقليدية التي اتبعها ستانسلافسكي في موسكو ومن سبقه بالتاريخ المسرحي وصولاً حتى أرسطو، وكتب في هذا مسرحيته الشهيرة «أوبرا بثلاثة قروش» التي انتقد فيها الأساليب الكلاسيكية القديمة. لم ترق لبريخت هذه المدارس لأنها خاطبت العاطفة وحركتها، وأثارت الانفعالات التي طغت على التفكير والعقل. وحين نشاهد مسرحية عادية نقع تحت تأثيرات مختلفة ونتفاعل معها، إما للشفقة والرحمة والخوف وإما للضحك والهزءِ والهزل.

وقد وضع أرسطو في هذا كتابه «فن الشعر» الذي ترجم إلى معظم لغات العالم، بما فيها العربية، وقد ترجمه وشرحه الفارابي وابن سينا وابن رشد، حتى ظهرت الترجمة الأخيرة عن اليونانية القديمة للدكتور عبد الرحمن بدوي.

وبمقارنة سريعة بين المسرح الملحمي (الإيبي) لبريخت وبين المسرح الدرامي نجد أن الإيبي يعتمد على الرواية، ويجعل المشاهد متفرجًا ويثير فيه الرغبة للعمل، ويدعوه لاتخاذ القرارات، وهو حين ينظر ويشاهد الأحداث يمكنه أن يجادل ويعارض ويتخذ المواقف، ويقرر في شعوره الغريزي، ويصبح الإنسان مدار بحث قد يتغير وقد يُغير، لأنه يهتم بتطور الحوادث التي تظهر أمامه في كل مشهد قائم بذاته، وهذه الحوادث يجب أن تبعد المتفرج عن الخيال. كما أنه يتطلب الفهم وقد يأتي بالتطور غير المباشر لأن الإنسان متطور.

أما المسرح الدرامي فيعتمد على الحوادث، وينقل المشاهد إلى عالم المسرحية وأجوائها التي قد تمنعه من العمل، لأن الدراما تمنح المشاهد اكتفاءً بالشعور وتمنعه من التطور، بسبب الاندماج في ما يرى وهو كالمسحور يحافظ على الشعور الغريزي. وينطلق ذلك من أن الإنسان معروف بشخصيته، وإنسانيته ثابتة دون تغيير. ويصبو هذا المتفرج إلى معرفة النهاية من خلال المشاهد التي تتابع ويرتبط بعضها ببعض. كما أن المتفرج يستخدم مشاعره ويستعين بخياله في حوادث المسرحية وفكرتها التي تظهر من خلال الشخصيات الثابتة للإنسان الذي لا يتغير.

إن معارضة بريخت للكلاسيكية جاءت بدافع إيمانه بالفكر الماركسي والفلسفة المادية، وقد أوضح نظريته في كتاب «ميسينغ كاوف» وهو حوار بين مفكر ومسرحي، ووضع فيه نظريته المعروفة بنظرية «التغريب». وهكذا ظهرت قصائد بريخت أيضًا، وقد حملت كلها العناوين الفكرية والتي تدعو إلى العمل كما هو الحال في قصيدته «أولاد في حملة خلاص» والتي ترجمها إلى العربية شاعرنا سميح القاسم.

القاسم:

نعرف كلنا سميح القاسم لأنه من أشهر الشعراءِ المعاصرين، والذي حمل ألقابًا وضعته في مصاف العظماءِ، ولا غرو في ذلك فقد أبدع بوضع ما بين ستين وسبعين مؤلفًا في الشعر والقصة والمسرح والمقالة والتوثيق والترجمة، وترجمت أعماله إلى لغات يصعب حصرها لكثرتها. وها هو القاسم في قصيدة «أولاد في حملة خلاص» والتي أصبحت «صرخة ماريا» فيظهر بإحدى قممه الإبداعية، حيث استطاع سبر غور الفكر الماركسي، والنظرية التغريبية لبريخت، فعرضه لنا بصدق وقدمه لنا بأمانة، وترجمه لنا ببعض التصرف ليتلاءم مع تسلسل الحدث، وبالتالي تنسكب في هذه القصيدة عصارة أفكار المقاومة ومناهضة الحروب والكف عن القتل والدمار والدعوة إلى العمار والبناءِ، وحفاظًا على البشر والحيوان والنبات.

إن «أولاد في حملة خلاص» تمثل النواحي المغمورة والمستورة في حياة فئة من المشردين الذين بعثرتهم الحرب، وجمعهم المصير المجهول، وبحثوا عن مستقبل واعد، فلم يعثروا له على أثر. وكان قرارهم الحاسم بإرسال رقعة الاستغاثة والاستنجاد، ووضعوا عملية إنقاذهم في عنق كلب قد يتيه وقد يضل الطريق، فتصبح حالتهم كالمستجير بالرمضاءِ من النار.

لم يكن حضور القاسم في «صرخة ماريا» واجبًا لكي ينال باقة الورد في ختام العمل، بل استخدم المخرج صوته وقراءته. وسمعناه يلقي مقاطع القصيدة بصوته المميز، ولهجته المتدفقة، ونبرته المتواترة بإيقاع الرقصات والحركات، وقراءته البريختيانية التغريبية التي تقنع المستمع قناعة تامة بأن ما نسمعه وما نشاهده هو ما حصل فعلاً لا قولاً فقط.

نورمان:

نورمان عيسى، فنان مسرحي، عرفناه ممثلا ومخرجًا، وشاهدنا أعماله التي تميزت كلها بالإبداع والفن الراقي والجميل، بغض النظر عن القطاعات العمرية أو الأجيال الجماهيرية والفكرية لهذه المسرحيات. فجاءت مسرحياته

للكبـار كممثل بغايـة الإتقان والقناعـة والصدق، ولا تقل عنها تلك التي للأطفال، أما هو كمخرج فلم يدخر وسعًا ليعبـر بأعماله عن نفحـات فنه، وعن أصالتـه الإبداعية والمهنية.

وعندمـا شـاهدته فـي هذا العمـل الأخير كمخرج «صرخة ماريا» تأكد لي ما قلته له سـابقًا وفي مناسبات عديـدة، بأنه فنـان متمكـن وأصيل، وبوسـعه أن يبلغ أعلـى المراتب الفنية، حيث لا يعصاه دور، ولا تعرقله أي شخصية يود أن يلعبها، ولا تعيقه أي فكرة ليطرحها أمام الجمهور.. وها هو يتألق في هذه الأمسية الشاملة بفنونها، والمتعـددة بفروعهـا، لأنها كالشـجرة التـي تنمو عليها المسـرحية، وأغصانها تتألف من القصيدة، والسـيناريو، والموسـيقى، والإنـارة، والملابس، والتمثيـل، والحركة، والديكـور.. وغيرها من المجالات التـي أتتنا بثمرة فنية دسمة، ممتعة، شـيقة، جذابة وسلسة، إنها سهلة الهضم وغير عسيرة المضغ.

انقلبت هذه القصيدة إلى «صرخة ماريا» لكي تظهر ماريـا في شـريط حياتهـا التراجعي نحـو الماضي الذي عاشته كطفلة، ثم صبية، فيافعة، فبالغة، فمراهقة، فعاشقة. وجعل نورمان ككاتب سيناريو، هذا التحول والانقلاب في القصيدة سردًا منفتحًا ليتداخل بعمق بريختياني، وليفسر أبعادًا ذاتية وفكرية، وليقول رأيه في إبداعية متجددة، فـي ما يواجهـه من مواقف وحـالات الحرب والسـلام، الفقر والثراء، الجوع والعطش، الحب والمسامحة، الفرح والاكتئاب، المواجهة الجماعية والانفرادية.

واستطاع نورمان أن يجمع خيوط هذا العمل ليؤلف لنـا مرئيات متصاعـدة، ولوحات متزايدة، وشـخصيات نامية، وأحداثًـا متطورة. وهذا ناتج عن سـكب صحيح للفكر الإبداعي السليم، والديناميكية المتواصلة في اللقاء والربط بين المشـاهد المتلقي والفنان المقدِم.. وجاءت الروابـط متينة مـع الجمهـور لأنها مكونة مـن عوامل الفنون الجميلة، كمرئيات وفكريات.

إن نجـاح العمـل مرهون بنجاح الإخـراج، ومرتبط بقـدرة المخـرج على تقديمـه للمشـاهد بأفضل حلة وأجمل شـكل. ومتعلق بلمسات الإخراج وصياغته الفنية، وعندمـا علمت بوقـوف نورمـان وراء إخراج «صرخة ماريًـا» زاد اطمئنانـي بنجـاح هـذه التجربة مـرة أخـرى، كما نجح في مسـرحياته السابقة. وبمـا أن المخـرج هو أفضـل متفـرج، أو المشـاهد المثالي، فإنه يعـرض أعمالـه تحت هـذا الباب، ومـن هذا المنطلـق. ولا عجـب أن يضيـف نورمـان هـذه التحفة الفنية إلى رصيده الغني.

ريمون:

إذا كان الجسـم يعتمـد علـى العمـود الفقـري فـإن «صرخة ماريا» ظهرت بعمودها الفقري واسـمه «ريمون حداد». وهـذا بمثابة عمـود البيـت إذا كان الحديث عن خيمة العـرب، لأنه حمل الإيقاع على أكتافه الموسـيقية، ونظم الحركة والأصوات والمشـاهد، وقاد أنفاس المشاهدين التي كثيرًا ما حبسها لهم، وجعل القلوب تنبض مع أنغامه وتتحسر النفوس مع ألحانه.

ريمون الذي امتاز في أعمال موسـيقية سـابقة وسـاهم بإعـداد الأعمـال الموسـيقية والغنائيـة العديـدة للمغنيـن والمنشـدين، شعر بأن الأنغام تسـري في عروقه، فنقلها إلى المسـتمعين بمتعة ورهفة. وأصبحت العملية الموسـيقية في «صرخة ماريـا» أكثر من مجرد موسـيقى مرافقة، أو ضمن الموتيفـات والمؤثـرات السـمعية، واسـتطاع أن يعيدنـا إلى الإيقاعـات التاريخية لدور الموسـيقى في المسـرح اليوناني، والتي لا يسـتغنى عنها في العـرض الغني. وهذا هو دورها في المسرح الياباني المعروف باسم «نو» وهو مسرح يعتمد على ثـلاث مقومات: القصة، التمثيل والموسـيقى. فـإذا اختل أحد هـذه الدعائم يختل العمل الفني بأكمله، فكم بالحري إذا كان العمل معتمد على هذه الموسيقى؟

وجـاءت الموسـيقى فـي «صرخة ماريـا» ضمن مؤثرات الحـرب ودوي المدافـع والقنابل وهدير الطائـرات الحربية، إضافـة إلى مبعث للشـجن والحنـو، وإلى انتظـام الحركات الراقصـة والتمثيليـة، والدخول والخروج، وحتـى النص ألقي بوتيـرة موسـيقية، وتؤكـد بأن هـذا العمل هو مغنـاة بكل معانيها.

التمثيل والرقص:

التمثيـل هـو الواجهة التي تعرض فيه وبواسـطته الأعمال المسـرحية، ولكـن التمثيل ظهر بحـركات راقصـة، تعبيرية، دراميـة، بتطعيمات المؤثرات الضوئية والموسـيقية، واحتواء الديكـور وهفهفات الملابـس، وقهقهات الصغـار وأنات الألم، وصرخـات المفاجآت، ورعب القصف، وطفـرات الأمل، وهذا ما أبرزته مديرة الفرقة ومدربتها ومرشدتها وفنانتها فريال خشيبون.

ومما أعجبنـي كمتفـرج، هـو الانتقال بيـن الأجيال على الخشبة، وذلك تجسـيدًا لبلوغ ماريا سنًا معينة. وبرز في هذا الطفـل فادي رايق طعمة وماريا فيليـب هلون، والانتقال بين الأولاد اليافعين حتى ميساء سبيت وناصر حنا، ثم أماني سلامة وحسـام حبيب خشيبون، الذي لعب دور الحبيب، والذي يلقى مصرعـه في خضـم المعـارك والقصف البغيض. واسـتعرض هـؤلاء الممثلـون الراقصون سـيرة حياة ماريـا، والتي لعبت دورها على مدى العرض كله الموهوبة ميساء خشيبون، فكان لها حضور دائم وروح هائمة ترف على العمل كله.

أعتقـد جازمًا بأن فريـال المبدعة قامت بتدريب أعضاء الفرقـة بجهد ومثابرة. وقد أدى الأعضاء أدوارهم بانسـجام تام، وتنسـيق متكامـل، واحتـراف يضاهي كبار الفـرق الفنية المماثلـة. وكذلك الأمر بالرقص الذي قدمتـه الفرقة، حيث عرض الراقصون والراقصات لوحات انفردوا بها وقد صممتها لهم فريال خصيصًا.

وحتـى التمثيـل جاء كرقصـات تعبيرية، فتمـازج التمثيل بالرقص تمازجًا غير منفصل، وانقطعت فيه الكلمات، وانبعثت فيه الأنغام وتناسـقت فيه المعاني، واستحدثت فيه الحركات. لقـد توازنت تحركات الفرقة وتوزعـت بنوعية وتقنية تامة.. فما كنت أرى مشهدًا منكسرًا، أو منحرفًا، أو ضعيفًا.

واستطاعت فريال أن تبلور في بوتقة التوتر وقمة الحدث، نسيج الشخصيات التي سرعان ما اتفقت في ما بينها، واختلطت بعضها ببعض، منسجمة معًا في السلوك، واتخاذ القرار وطريق الحل. وإن الحدث كان جامعًا لا مفرقًا، وكان ململمًا لا مخلخلاً.

ومسح على وجه القصيدة كلها صورة «ماريا» التي تناثرت مع أوراق الورد طيلة العرض المسرحي.

فريال:

إليـك يـا فريال خشـيبون هذا العمل الـذي بذلت الغالي والنفيس لإخراجه إلى حيز الوجود، يعود إليك تكريمًا وتحية.. هذا العمل الذي أمضيت تسـعة أشهر على الإعداد والتدريب والجهد العظيـم، قد ولدته مولودًا جديـدًا بين يديك.. هذه المغامـرة الجديـدة التي دخلتهـا كانت جديـرة لأنها عادت إليك بتجربة لا تنسـى، لأننا شـاهدناك في أعمال سابقة، ولا مجـال للمقارنة مع ما مضـى.. لأن هذا العمـل الذي قدمته إلـى الجمهور بمتعـة المبدع، يعود إليك بمتعـة المتلقي التي لا توصـف.. هذه النقلة النوعيـة، والتغيير الـذي أجريته على فرقتـك وبرنامجها يفتح أمامـك أفاقًا غير محـدودة.. هذا العمل المتناسـق بين جميع العاملين فيه يكتب لاسـمك البقاء به.. هذا العمل يجعلك أهلاً لعرضه على مسـارح العالم.. فإلى الأمام.. ومبروك لك.. تستحقين الاسم العالمي.

«فيلم اشتراكية» لغودار: فلسطين وأمور مهمة أخرى في البال

كان (جنوب فرنسا) - ابراهيم العريس

تحبه أو لا تحبه، تفهمه أو لا تفهمه... تبقى حتى نهاية العرض أو تترك الصالة ناقماً أو منهكاً أو لا مبالياً... كل هذا لا يهم! المهـم مع فيلم لغودار أن تدخل منطقه أو لا تدخله. وهذا الفيلم الجديد لغودار المقترب من عامه الثمانين لا يشذ عن القاعدة. هو فيلم يماثل الثلاثة أو الأربعة الأخيرة التي حققها: فيلم توليف يـكاد أن يقول رؤيته الى عالم يتغير. لكنه هنا يبدو ميالاً الى تشـظ أكثر، الـى توليف أكثر كثافة، وربما أكثر من هذا كلـه: إعلان نهاية ماً لتاريخ صار، بالنسـبة إليه جزءاً من الجغرافيا.

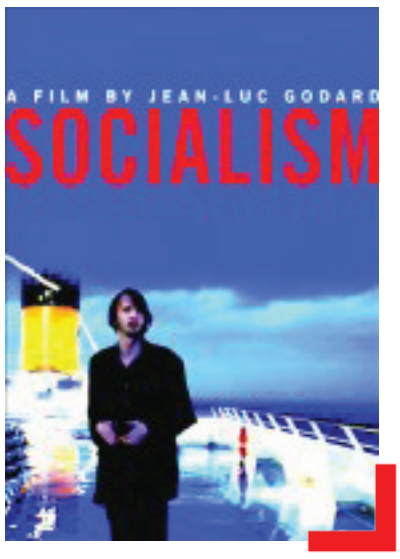

تاريخ ألوف الأعوام لخّصه جان - لوك غودار في أقل من ساعتين سينمائيتين محيرتيـن. أراد أن يقـول هنا اشـياءً كثيـرة، بل ربما كل شـيءٍ ايضاً. بدت الأمور مختلطة، والفيلم الذي حاول ألا ينسى شيئاً من الحضارة الفرعونية الى فلسطين ومن الاستعمار الى الحروب، ومن تاريخ السينما الى نجيب محفوظ الـى بلزاك الى سـيمون فيـل ووالتر بنجاميـن والرياضـة وخيبـات الأمـل، بدا خلال ثلثي سـاعة انه نسـي ما كان يقوله. نسـي رحلته البحرية عبر مدن المتوسـط، ليغرق في حكاية فرنسـية جنوبيـة فيهـا محطـة بنزيـن وكاراج وعائلـة وطفـلان وانتخابـات مجالس بلديـة وكاميرا محليـة تصور هذا كله في نشـرة أخبار محلية هـي الأخرى... ولكن لا... واضح ان غودار لم ينسَ شـيئاً بل عاد الى الرحلة البحرية. عاد الى مكان الإسلام في العالم. عاد الى الحروب والسجالات الكبرى. عاد الى اليونان حيث اختلطت الديموقراطيـة بالتراجيديا للمرة الأولى. عاد الى السـينما وإلى إيزنشـتاين، لينهي فيلمه بعبارة واحدة تكاد أن تقول كل شيءٍ: «لا تعليق».

لكن المهم قبل كل شيء أن كثراً سيقولون بعد زمن ان غودار ربما قال عن فلسطين في فيلمه هذا ما لم تقله مئات الأفلام السابقة عن فلسطين وعن غيرها

هل هذا تلخيص للفيلم؟ على الإطلاق. فيلم لغودار لا يُلَخص. فيلم لغودار يُشـاهد ويُسـمع. والرجل لا يدعونا الى الفهم. لا يدعونا الى حب الفيلم. فقـط يحوّل فيلمه الى عـدوى. الى دعوة؟ دعوة الـى التفكير، والتفكير التركيبـي خصوصـاً. والمهمة صعبـة بالتأكيد. احياناً تكـون اصعب على المتفرج منها على المبدع. هنا ايضاً لا يشـذ «فيلم اشـتراكية» (وهذا هو اسـم الفيلم الذي كان حدث الأمس في مهرجان «كان» سـلباً أو إيجاباً) عن القاعدة الغوداري: تحب أو لا تحب، تفهم أو لا تفهم، لكن المهم قبل كل شيءٍ أن كثراً سيقولون بعد زمن ان غودار ربما قال عن فلسطين في فيلمه هذا ما لم تقله مئات الأفلام السابقة عن فلسطين وعن غيرها. ولكن عن فلسـطين خصوصاً، عن وعد بلفور، عن الأسـطول البريطاني الذي سـبق اليهود الى فلسطين، عن اول صور التقطت لها، عن فلسطين التي تمنع إسـرائيل الوصول إليها، عن فلسـطين محمـود درويش. اي عـن جوهر القضية من دون تحديد دقيـق لوجهة النظر. فنحن هنا في حضرة غودار، الذي لم يتوقف منذ أكثر من ثلث قرن عن طرح اسئلته الحائرة حول فلسـطين... حول السينما، حول الاشتراكية، حول زماننا، من دون ان يزعم حقاً انه حصل على أجوبة. هل هذا صحيح مع هذا الماكر الأبـدي؟ ترى أوليس في اختتـام غودار فيلمه الجديد هـذا بعبارة «لا تعليق» معان تتجاوز كل تعليق؟

في اختصار، فيلم «اشتراكية» وصيته كبيرة، تغيظ أحياناً وتحبط في أحيان أخرى من فنان كبير يعرف كيف ينظر الى العالم، كيف يسـائله وكيف يحوّل ذلك كله صوراً تعلّق، تحرّض، وتشكل ما يشبه العدوى... الفكرية على الأقل.

عن الحياة

للتواصل اليومي

سقط النقاب !

صبحي حديدي

تعرّضت الدولة العبرية، خلال الأسابيع الأخيرة إلى سلسلة نكسات على مستوى العلاقات العامة، في الميادين الثقافية والفكرية والفنية بصفة خاصة، على نحو يؤكد مجدداً أن إسرائيل ـ التي أتقنت ألاعيب كسب الرأي العام الدولي، بأساليب شتى ـ بلغت سقفاً لم يعد يسمح للسحر إلا بالإنقلاب على الساحر. في عبارة أخرى، وكما يستقرئ المرء من الصحافة الإسرائيلية أو من تصريحات بعض المسؤولين، لا تبدو الجهات الحكومية سعيدة بانحطاط صورة إسرائيل، واقعة تلو أخرى، وهبوطها إلى نقيض المثال الذي جرى الترويج له طيلة عقود: أنها واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط، ودولة القانون والمؤسسات، حيث حرّية التعبير مصانة، مثل حرّية الرأي المخالف.

الواقعة الأحدث كانت، بالطبع، منع المفكّر السياسي والألسني الكبير نوام شومسكي من دخول الأراضي الفلسطينية المحتلة، وسط حال فاضحة من التلعثم في تفسير القرار، والتأتأة في تحديد الجهة التي أصدرته. <إنه إعلان حرب على المثقفين>، قالت افتتاحية صحيفة <هآرتس>، وبه بدت إسرائيل مثل <بلطجي أصابته إهانة من عقل أعلى تفوّقاً، فتعيّن أن يحاربه، ويعتقله، ويطرده>. وإذْ تُذكّر الإفتتاحية بأنّ شومسكي ليس يهودياً فحسب، بل أقام في إسرائيل بعض الوقت خلال الخمسينيات، ويتقن اللغة العبرية؛ فإنها تعيد التشديد على تفصيل بديهي بسيط: رغم مواقفه الناقدة لتسعة أعشار أنظمة العالم، شرقاً وغرباً، فإنّ إسرائيل هي وحدها الدولة التي لا تتشرّف بزيارته لها!

نوام تشومسكي

قبل شومسكي كان إلفيس كوستيللو، المغنّي والملحّن وكاتب الكلمات البريطاني الشهير، نجم الـ<روك> في السبعينيات وموسوعة الـ <بوب> كما يُلقّب، قد ألغى حفلَيْن مقرّرين في إسرائيل، وأعلن في موقعه الشخصي على الإنترنت أنّ <الواحد منّا يحيا آملاً في أن تكون الموسيقى أكثر من مجرّد ضجيج، يملأ وقت الفراغ، سواءٍ بقصد الأفراح أو الأتراح. ثمّ تأتي مناسبات يكون فيها مجرّد اقتران اسم المرءِ ببرنامج موسيقي قابلاً للتفسير كفعل سياسي تتردّد أصداؤه أكثر بكثير من كلّ ما يمكن أن يُغنّى، فيسود عند ذاك افتراض بأنّ المرءِ غير مكترث بعذابات الأبرياءِ>. ولقد أوضح كوستيللو أنه مؤمن بأنّ بعض الذين كانوا سيتواجدون في حفلاته يخالفون حكومتهم الرأي حول الإستيطان وإذلال الفلسطينيين وإهانتهم، إلا أنّ القاعدة الأولى في هذا هي الإمتناع عن إقامة الحفل أصلاً.

القرار ذاته اتخذه جيل سكوت هيرون، الفنان الجامايكي الكبير، والصوت الصارخ ضدّ سياسات أمريكا، خاصة في حقبة ريتشارد نيكسون، والضمير الذي أقضّ مضجع نظام الأبارتايد العنصري في جنوب أفريقيا. إنه أيضاً الأب المؤسس لغناءِ الـ<راب>، ونجم الجاز، الذي عكست أعماله هموم الآدمي الفقير والشريد والمغترب، ضحية البؤس والعنف والمخدرات، المتطلع مع ذلك كله إلى أفق إنساني أرحب. كان سكوت هيرون على خشبة الـ<رويال فستيفال هول> في لندن، حين ألقى مداخلة مسهبة، أوجز خلالها تاريخ مواقفه في كراهية الحرب، والإنحياز إلى الضحية، الأمر الذي يُلزمه أخلاقياً بالإمتناع عن الذهاب إلى إسرائيل، فقابلته القاعة بالهتاف والتصفيق الشديد.

لائحة الأسماءِ الأخرى المقاطعة صارت تضمّ أمثال الروائي والناقد البريطاني جون بيرغر، والروائية الأمريكية أليس ووكر، والأسقف دزموند توتو من جنوب أفريقيا، والروائية والناشطة الهندية أروناداتي روي، والشاعرة الأمريكية إدريان ريش، والصحافية والكاتبة الكندية نايومي كلاين، والكاتب الأمريكي راسل بانكس، والسينمائي الفرنسي جان ـ لوك غودار، وزميله البريطاني كين لوش، والمغني البريطاني ستينغ، والمغني وعازف الغيتار الأيرلندي بونو، والممثل ومغني الـ<راب> الأمريكي سنوب دوغ، والمغني الأمريكي ـ المكسيكي كارلوس سانتانا، ومغنية الـ<بوب> الآيسلندية بيورك...

بل كانت أيضاً نتيجة جهود شاقة مضنية بذلها عشرات النشطاء المؤمنين بالحقّ الفلسطيني، هنا وهناك على امتداد العالم، وضمن صفوف <الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل>

وينبغي التشديد، هنا، على حقيقة أنّ سلسلة المواقف هذه لم تأتِ نتيجة وقفة هؤلاءِ الكتّاب والفنانين مع ضمائرهم، فحسب؛ بل كانت أيضاً نتيجة جهود شاقة مضنية بذلها عشرات النشطاءِ المؤمنين بالحقّ الفلسطيني، هنا وهناك على امتداد العالم، وضمن صفوف <الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل>، بصفة خاصة. وهذه الحملة انطلقت سنة ٢٠٠٤ في رام الله، بمبادرة من مثقفين وأكاديميين فلسطينيين، وتستوحي عملها من <الدور التاريخي الذي أداه مثقفو المجتمع الدولي وأكاديميوه لنصرة الحقوق العادلة>، وفي طليعتها النضال ضدّ نظام التمييز العنصري في جنوب أفريقيا.

وفي مختلف البيانات التي تصدرها، كما في رسائل المناشدة التي تبعث بها إلى مثقفي العالم، تشدّد الحملة على أنّ <الإضطهاد الكولونيالي الإسرائيلي للشعب العربي ـ الفلسطيني يستند بالأساس على الفكر الصهيوني العنصري>، ويتخذ ثلاثة أشكال رئيسية: (١)، رفض إسرائيل الاعتراف بمسؤوليتها عن النكبة وما شملته من تطهير عرقي أدى إلى خلق قضية اللاجئين الفلسطينيين وإنكار حقوقهم المكفولة في القانون الدولي، وأهمها حق العودة والتعويض؛ و(٢)، الإحتلال العسكري الإستيطاني للضفة الغربية (بما فيها القدس الشرقية) وقطاع غزة، خلافاً للقانون الدولي؛ و(٣)، التمييز العنصري الشامل ضدّ فلسطينيي مناطق ٤٨ (حاملي الجنسية الإسرائيلية) والتفرقة العنصرية الناجمة عنه، بما يشبه نظام الأبارتايد في جنوب أفريقيا.

والمفارقة أنّ هذه الجهود تجد بعض العون من البلطجي الإسرائيلي نفسه، كما في قرار منع شومسكي من عبور الجسر، فيسقط كلّ يوم نقاب جديد كان يجمّل أو يستدرّ العطف أو يخدع أو يزيّف، وصار لزاماً أن يتكشف عن حقائق الوجه القبيح.

عن القدس العربي

إسرائيل تهوّد القدس القديمة بمهرجان شعري..

شمعون بيريز يحتفي بأدب الأقليات العربي!

جهاد هديب

أقام "رئيس دولة إسرائيل" شمعون بيريز، الذي أعلن مسؤوليته التاريخية عن مجزرة قانا ١٩٩٦ على الملأ غداة ارتكابها، فضلا عن دوره التاريخي في التنكيل بالفلسطينيين عبر تاريخه الطويل، منتدى ثقافي من أجل "الاحتفاءِ بالأدب العربي" حيث شارك في هذه "الاحتفالية" ثلاثة "شعراءِ فلسطينيون" هم، بحسب موقع بانيت الناصري مزودا بالصور، نداءِ خوري، الحائزة سابقا جائزة الدولة العبرية للأدب العربي بوصفه أدب "أقلية!"، والدكتور فاروق مواسي، والدكتور نعيم عرايدي عضو حزب الليكود ومدير مكتب رئيس الحكومة الأسبق آرييل شارون للشؤون العربية آنئذٍ. لقد قرأ ثلاثتهم "شعرا" بين يديه وفي ظلال العلم الإسرائيلي.

هذا الإفراط في الإسفاف والوقاحة، والمقصود بهذا التوصيف هو أكثر من ذلك بكثير، ليس أمرا، فكل منهم قد اختار، وكل منهم سوف يواجه ضميره الخاص ومصيره الخاص والعام يوما ما لصمته بينما هو يستمع للتنكيل الذي تعرضت له اللغة العربية على أيدي ولسان "مثقف" صهيوني من طراز بيريز في حين لم يتفوه أي منهم بكلمة تشبه، أو تكاد تكون، ردا حضاريا موازيا، أقلها، في شأن اللغة التي يكتب بها إبداعه الخاص، وبشأن اللغة العبرية الراهنة التي هي صنيعة علم النحو والصرف العربي.

لكن ما حدث بعد أيام، أي مطلع هذا الشهر هو الأمر الجدير بالتوقف عنده بالفعل، ففي حين كان يجري إغلاق المسرح الوطني الفلسطيني في القدس الشرقية ويجري طرد مثقفين فلسطينيين وعالميين منه، كان الروائي الأميركي بول أوستر، أحد أهم الروائيين الأميركان في اللحظة الراهنة وصاحب "ثلاثية نيويورك" و"بلاد الأشياءِ الأخيرة"، يقرأ إلى جوار أسوار القدس القديمة صحبة صديقه القديم الروائي الإسرائيلي ديفيد غروسمان، الذي يوصف عادة بأنه الفتى المدلل في الغرب.

غير أن هذه المفارقة الثقافية العجيبة لم تكن قد بدأت من هنا، ففي حين كان بول أوستر يصل إلى دولة الاحتلال للمشاركة في الدورة الثانية لمهرجان يدعى مهرجان الفنون الجديدة ـ ورد اسمه أيضا ضمن مهرجان الكتّاب في موقع جريدة "جيروسالم بوست" الناطقة بالانجليزية ـ كانت أهداف سويف بصحبة كتّاب عالميين، أو كتّاب من دول العالم الثالث لكنهم معروفون عالميا، تصل إلى رام الله ومن بين الذين وصلوا معها شاعر انجليزي كان يوما ما جنديا إسرائيليا وشاعرا إسرائيليا ويكتب بالعبرية ثم ترك المشروع الصهيوني كله ليعود إلى الأرض ذاتها متضامنا مع الألم الفلسطيني الذي كان شاهد عيان عليه ويعرفه جيدا وليقرأ بالانجليزية.

والفكرة الأساسية هنا أنه لما تمّ الإعلان عن القدس عاصمة للثقافة العربية العام الماضي، تداعت عدة مؤسسات فلسطينية معنية بالشأن الثقافي لمواجهة أمرين: العجز الفلسطيني الراهن عن خلق خطاب ثقافي مواز لهجمة الاحتلال والتهويد غير المسبوقة لمدينة القدس، وضرورة نقل ما يجري في القدس إلى العالم عبر تواجد ثقافي عالمي قادر على إحراج دولة الاحتلال في الغرب فعلا.

وما حدث لم يتوقف عند إغلاق المسرح الوطني الفلسطيني أو نسف ومصادرة خمسة عشر بيتا بمناسبة السيد أوستر وبمناسبة ضميره المثقف، بل دفعت بلدية القدس باتجاه قيام مهرجان آخر مواز بهدف تفريغ أي فعل ثقافي فلسطيني من أي مضمون، وبادرت بسرعة كبيرة إلى إقامة مهرجان الفنون الجديدة الذي يتكئ في دعواته للشخصيات الثقافية العالمية بناءِ على علاقاتهم بمثقفي دولة الاحتلال من مثل عاموس عوز وا. ب. يهوشواع وديفيد غروسمان وربما ذلك الكاتب متوسط القيمة والموهبة إيلي عمير أيضا، هو الذي شارك في احتفائية بيريز بالأدب العربي!.

من اليمين: شمعون بيريز، سلمان رشدي، بول أوستر، عاموس عوز

هكذا حضر بول أوستر إلى الأسوار القديمة ليقرأ من شعره ومن نثره. ثم لينتهز الحوارات واللقاءات فيعزز من صداقاته القديمة مؤكدا للصحافة العبرية أنها صداقات محضة وخالصة لوجه الصداقة، وأن الأصدقاءِ عندما يلتقون فإنهم لا يتحدثون في الأدب بل في شؤون أخرى عائلية!. فيما الهدف من المهرجان هو "وضع القدس على الخريطة الثقافية العالمية بوصفها عاصمة أبدية لإسرائيل" بحسب ما ذكر مدير المهرجان نفسه.

بالمقابل لجأ الفلسطينيون إلى التقنيات الحديثة لحشد جهد مواز، مثل تقنية البث المباشر عبر الشاشات أو الفيديو، ولينقلوا إلى العالم عبر المواقع الإلكترونية ما يجري من أحداث في مهرجانهم الذي دعوه بمهرجان الأدب الفلسطيني. الغريب في الأمر أن ما من أحد تداول هذا الأمر في الصحافة العربية حتى الآن على الرغم من أن

المهرجانين قد بدءا في الوقت نفسه، تقريبا، وانتهيا في الوقت نفسه، بدءا من الثالث من هذا الشهر وحتى السادس منه، باستثناء البعض من المواقع الإلكترونية في فلسطين ١٩٤٨.

اعتنى الفلسطينيون بالمواقع الأكاديمية، فأخذوا ضيوفهم إلى جامعاتهم التاريخية التي غالبا ما كانت، لرفعة سويتها، محط تنكيل الاحتلال، فذهبوا إلى جامعة النجاح الوطنية في نابلس والتقوا طلابا من كافة الاتجاهات، لكن جلّ خطابهم كان تضامنيا، وكم هو مثير للمشاعر أن تكشف كاتبة وناشرة من الهند عن مشاعرها الشخصية أثناء ما كانت في فلسطين وما رأته هي بعينها.

في الطرف الآخر، وربما يصح التعبير: في المقلب الآخر من العالم، كان كتّاب من فنلندا وبريطانيا وروسيا وألمانيا وإسبانيا وأوكرانيا والأرجنتين وأميركا يزورون أمكنة تاريخية "في قلب القدس"، بحسب تعبير المراسل الصحفي لـ"نيويورك تايمز"، والخليل القديمة، أي لكل ما هو مقدس بالنسبة للديانة اليهودية من قِبَل مثقفين علمانيين!. وقلب القدس هي القدس القديمة التي جرى احتلالها العام ١٩٦٧ خارج إطار القانون الدولي والتي هي عاصمة الفلسطينيين رسميا بحسب القوانين الدولية لا بحسب الوقائع التي ما تزال دولة الاحتلال تحاول فرضها على أرض الواقع.

أيضا اشتمل برنامج الفنون الجديدة على ندوة عن ذكرى مرور ٢٠ عام على هدم جدار برلين لدانييل كيلمان وجودث هيرمان من ألمانيا والاسرائيلي إيال ميغين وصوفي أوسكانيه من فنلندا في الوقت نفسه الذي يعذّب فيه جدار الفصل العنصري في فلسطين الناس ويشقيهم شقاءً غير عادي على مرأى ومسمع!.

لكن ما هو أشبه بالردّ المتحضّر، بوصفه فعلا إنسانيا، فقد جاء من "فلسطين ٤٨"، أو من قاعة مسرح الكرمة في حيفا

إلى ذلك تضمن البرنامج ندوة عن "الأدب الإسرائيلي في البلاد العربية" باستضافة كاتب عربي غير أن التفاصيل كانت مرجأة إلى حينه بحسب الموقع الإلكتروني للمهرجان، والأرجح أن الندوة لم تتم. فما كان ينبغي الحديث عنه هو الأدب العربي مترجما إلى العبرية، إذ أن دوائر محددة في دولة الاحتلال أكثر حماسة من الفلسطينيين والعرب في ترجمة الأدب العربي إلى العبرية وذلك بهدف فهم طبيعة الشخصية العربية من خلال الرواية تحديدا.

لكن ما هو أشبه بالردّ المتحضّر، بوصفه فعلا إنسانيا، فقد جاء من "فلسطين ٤٨"، أو من قاعة مسرح الكرمة في حيفا، الباقية أبدا، فلقد دعت مكتبة "كل شيء" الناصرية إلى حيفا وبالتعاون مع مؤسسة الدراسات

أنطون شلحت

العربية للنشر والتوزيع في عمان الروائي ربعي المدهون محتفيةً به وبروايته "السيدة من تل أبيب"، والعنوان هنا جدير بالملاحظة والاهتمام، ومضمون الرواية بما ينطوي عليه من كل تأويلات هو الأخطر، ثم إنها واحدة من الروايات الست التي بلغت جائزة البوكر العربية، لتكون "فلسطين ٤٨" فخورة بواحد من أبنائها الذين هجّروا سنة الهزيمة المرّة التي ما زال طعمها عالقا في الأفواه والقادم للتوّ بجواز سفر بريطاني.

هناك قال ربعي المدهون: "أمس؛ حملتُ نكبتي إلى نكبتي، باحثًا عن طفولةٍ أضعتُها في مكان ما، من مدينة المجدل عسقلان مسقط رأسي ومدينتي الأولى، لقد تأخّرتْ زيارتي لها اثنيْن وستّين عاما. وقفتُ على حوافّ بقايا المدينة، كمّن يقفُ على حافّة ذاكرة لا تقوى على حمْله، للحظات، قَسَتْ عليَّ المدينة، كأنّما تُعاتِبُني على طولِ غياب، حقًّا، ألستُ مسؤولاً عن نكبتي؟"

أما، الناصري، المثقف والناقد أنطون شلحت فيكتب في مداخلته عن الرواية: "جعَلَ المؤلّفُ أبطالَهُ اليهودَ يتكلّمون فيما بينهم بلغتِهم الأمّ، ذلك بأنّ اللّغةَ تعتبر عنصرًا مركزيًّا من عناصر الهويّة. ويمكن القول، إنّ الكاتبَ في تعامله هذا قد تفوّق أخلاقيًّا على الكُتّاب الإسرائيليّين، الّذين يستنكفون عن الاستئناس بالمنظورِ الفلسطينيّ، الّذين يتجاهلون عنصرَ اللّغة".

قال أيضا: "إنّ الظلّ هو شخصيّةٌ مركزيّةٌ في الرّواية، وربعي المدهون يُعمّقُ من خلال ذلك تقليدًا إبداعيًّا في الأدب الفلسطينيّ، جرى في نطاقه توظيفُ الظّلّ لبناءِ خريطة بديلة لفلسطين بعدَ النّكبة، وباعتباره شاهدًا على ماضٍ بُتر تحتَ وطأة الاستعمار الصّهيونيّ، فضلاً عن إحالات أخرى في سياق توصيف تعقيدات الحياة لدى الفلسطينيّين، وكذلك لدى الإسرائيليّين".

في المنفى وما حوله

طلال حمّاد

×××

مخيّم بلا معنى
أو رجاءْ
يضيعُ أيّامَهُ
في انتظار احتمال
ما يمكن أن يأتيَ
أو لا يأتي
هباءْ!!

×××

ذكرى تلاحقك
كأنها تراودك
فإن رضيت
فهي لك
وإن قلت لا
أوقعتك في حبالها
رغماً عنك
والأمانُ أسيراً
في قبضة الطغيان

×××

مستوطنة
تنبت في الأفق
كالفطر المسموم
أو
كالورم الخبيث
في الأفق
وتنتشر
في الحقول الآمنة
كالنّار في الهشيم
أو
كالدود في الجرح العفن

×××

قطارٌ
لا عَجَبْ
يسير بلا قاطرةٍ
خارج سكّته
ووجهته
محطّة سطا عليها
قطّاع الطُرُقْ
والمنبوذون المرابونَ
في سوق الذهبْ

×××

رصاصة عمياءِ
تشقّ الطريق إليك
كأنّها تعرفك
ودونما سلام
تأخذك
إلى نهاية
تشبه نقطة
في آخر الكلام

×××

وهو فكرَةٌ طائشَةٌ
تضرب الرأسَ عمداً
لتُطيح بالجَسَدْ
فمن يأمن المنفى
إذا المنفي
أضحى بَلَدْ؟

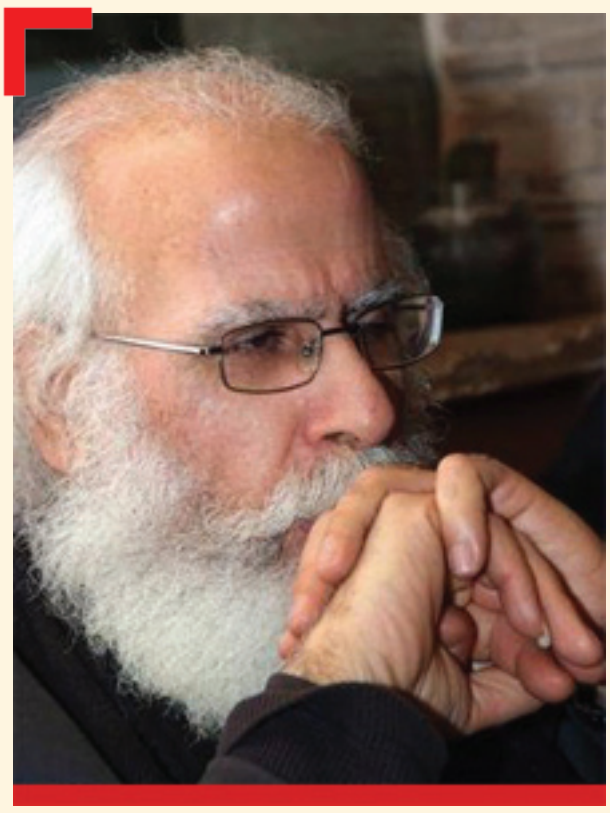

مقال برجوازي صغير في ذكرى النكبة

سليم البيك

نأتجرأ وأعلن بأنني لا أدخّن ولا أطيق رائحة دخان السجائر بل وأنعم الله (بيولوجياً) عليّ بحساسية عالية في مَنخَريّ تجاه الدخان ونيكوتينه. وسأعلن كذلك بأنني لا أتسخسخ وترتخي مفاصلي كلّما شممت رائحة القهوة. وأنا أصّر دائما على حشر نفسي ضمن "الشيوعيين" رغم موقفي المبدئي من السيجارة، والمهادِن من القهوة. وأرجو ألّا يحيل أحد موقفي هذا لاعتبارات طبقيّة.

ولنتفق أولا بأن السيجارة والقهوة (السادة خاصة) ليستا الوكيلتين الحصريتين للشيوعية، ولا الشيوعيون هم الموزعين الحصريين لهما، ولا وجود لعلاقة ديالكتيكية بين الطرفين.

في حوار مشؤوم مع أحدهم أدركت بأنني كوني لا أدخّن بشراهة ولا أشرب القهوة بتأمل، بتُّ مهدّدا في انتمائي الفكري والطبقي، أي أنني "غريب" على البروليتاريا، بل ومرشّحا للانتقال إلى طبقة البرجوازية الصغيرة (الكبيرة فعليّا) والتي تخلّى أعضاؤها عن الصفات الثورية في مج السيجارة (مع تسبيل في العينين) وارتشاف القهوة (مع صوت الشفط الشهير).

أنا، يا جماعة، بحب الميلكشيك، ويا حبّذا لو تواجد ستروبيري ميلكشيك وإن لم يوجد فلا بأس بالفانيلا، ومع طبقة كريمة بيضاءِ كالساحة الحمراءِ في شتاءِ موسكو. وإن احتاج جسمي بعض الكافيين، دون أن أضطر للسخسخة، سأفضّل الكافيه لاتيه على القهوة السادة، وياحبّذا لو كان بالبندق: يعني هيزلنُت. بل (خربانة وخربانة) أنا لا أطيق القهوة المرّة مع الهيل.

ورغم ارتداداتي هذه (أو "انحرافاتي" بالمفهوم الماركسي) سأصرّ على انتمائي لأي شيءٍ غير البرجوازية الصغيرة، دخيلكم.

طيّب، أنا أفضّل التشيزكيك على الكنافة، والدونَتس على البقلاوة، حتى وإن حذّرني أحدهم أن الدونتس أمريكية، أنا أولا لا أعرف أية فطيرة "سوفييتية سابقة" لأحبّها (كي يرتاح بعض الرفاق)، وثانيا إن خُيّرت بين الدونتس والبقلاوة، "غير ربّك" لن يزيحني عن الدونتس، فكيف لي أن أقرّ بأن البقلاوة العربية (أو زنود الست) تثيرني أكثر؟

أما فيما يخص التشيزكيك، فلن أقبل أي تصنيف طبقي لها، وهنا أعلن انحيازي المطلق لأي تشيزكيك يسيل سائل الفريز أو الكرز أو التوت عنها، وإن حدث واستطاع يوما أحد المفكّرين "الماركسيين" حشر التشيزكيك ضمن طبقة أو فئة معينة، فسأكفر بفكره وألحق التشيزكيك، أنّى ذهبت في منفاها (من سيبيريا وجاي).

بعد بيان إعلان المبادئ هذا، أرجو ألا "ينكّد على سماي" أحد كلّما غرقتُ هائماً في شرب الميلكشيك (لا القهوة السادة) لأن ذلك لن يناقض الأنظمة الداخلية لكافة الأحزاب الشيوعية مجتمعة، ولأنه، وهو الأهم، لن يستطيع أن "يحرفني" أكثر.

لكنني، وإن تفهّمت موقف بعض الشيوعيين من الميلكشيك، لم أفهم ولن أتفهّم أبدا استماتة بعضهم في الدفاع عن قرار التقسيم عشيّة النكبة، والتي استمرّت إلى تاريخ كتابة هذا "البيان".

انتهى.

في البحث عن المنطق

مروان مخول

تصوّر لدقيقة بأنك تنازلت عن المنطق الذي ورثته. تمشي بما يُمليه عليك وعيك، فتستطيع من حيث لا تعلم أن تفقأ عين الصّواب البتول.
وحده الطفل مَن يستطيع فهم الأشياءِ بعكس قالبها الذي صبَّهُ البشر.
صدِّقْ وعيك الآن، إذ يقول لك: "لا تصدّق لا وعيك. إن غرابًا أسودَ (في يوم مثلج) أجمل من حمام السلام الذي في خطابات السياسيين"
كن سرياليًا قليلاً.. تصوّر بأنّك تتنازل عن إنسانيّتك لصالح كَوْنيّة ما.. تقودك إلى الانتماءِ لمخلوقات أخرى غير آدميّة، مساويًا أنت في ذلك بين ألمك لموت العراقيين المُصَوَّرين في نشرة الأخبار، وبين موت الذبابة التي قتلتها أمّك لمجرّد أنّها وقفت على التلفاز؛ حاجبة عنكما مشهد القتل الأوّل.
هل رأيت؟

إنها دموع التحزّبْ البشري على حساب الحشرات التي وحدها تعرفك على حقيقة الناس.
تنازلْ!
فالتنازلُ يرفعُ الفاعل إلى رتبة مفعول به طاهر.
تمامًا كما يفعل الغيم بنفسه، عندما يهبط ليصبح ضبابًا أفقيًا يزنّر خاصرة الجبل.
كن مجنونًا..
تصوّر نفسك ذا جناحين.. تحلّق في الفضاءِ المعنوي، متعاليًا عمّا هو حولك لتقول:
"كلّما تَرتفَّعتُ عمّا لي أراني لا أرى أحدًا إلاّ ويصغرُ كما الأشياءِ التي من تحتي، ومثلي"
للأشياءِ معنى خلف المعنى المُستهلَك. إذ تُحس به؛ يجعلك عرضة لسخرية الآخرين. خصوصًا في بحثك عنك في المدعو "أنت".
الخلاصة:
إن المنطق الوحيد في الدنيا هو أن المنطق الموروث ليس بالضرورة مُمثّلٍ شرعي عن حقيقة الواقع.
فمثلاً:
أتخيّل نفسي وقد صادفت بالأمس آدم وحوّاءِ في المجمَّع التجاري "عزرائيلي" الذي في تل أبيب؛ يجلسان إلى طاولة في "أروما".. يراقبان أحفادهم المُحمّلين أكياسًا كثيرة من "رايموند ول" و"بيير كاردان" و"ميخال نجارين"، ممّا يجعلهم أبعد ما يكون عن ولوج دَراما الخليقة.
من هذا المنطق ذاته، سترى الوقت تاركًا لنفسه وقتًا كافيًا للتفكير، في حقيقة ما وعدك به الله من خيرات الجنة، كالتفّاح والطيب والعنبر والمسك والعقيق.. وأشياءِ أخرى أسماؤها تحتاج إلى لسان العرب ولغويٍّ ممتاز كعمّي راجي.
كن موضوعيًا.. قم واتصل بالله حالاً. اقترح عليه أن يُزوّدك بإغراءِ عصري يكفيك لتموت شهيدًا.
كَأنْ يعدك مثلاً بحاسوب HP.
قارئي العزيز.. لا توجع رأسك فيّ. عد إلى منطق الأشياءِ الذي ترعرعت عليه.
اسمع منّي ولا تصدّقني.. كُفَّ عن القراءة فأنا أكذب كثيرًا!
ربما من شدّة الحقيقة
التي لا أعرفها.

دموع الضحيّة ودموع التماسيح

فاروق وادي

يمكن العثور، في "اليو تيوب"، على مقطع قصير، مؤثِّر، من محاضرة البروفيسور اليهودي الشجاع نورمان فنكلشتاين في جامعة واترلو.
ضمن التعقيبات على تلك المحاضرة، وقفت فتاة يهوديّة، لتذرف حفنة غزيرة من تلك الدموع المُعلّبة التي تنتجها مصانع الهولوكوست، والتي بات استهلاكها المبتذل ينافس البيسي والكوكا كولا (وفنكلشتاين هو صاحب الكتاب الهام "صناعة الهولوكوست"، الذي ترجمه سماح إدريس منذ نحو عقد من الزمان وصدرت ترجمته عن دار الآداب في بيروت).
لم يتردد فنكلشتاين من وصف ذلك السائل الجاهز المتساقط من مآقي الفتاة التي تبكي بحرقة مفتعلة ضحايا الهولوكوست، بأنه "دموع التماسيح"، التي لا يحبها ولا يحترمها. فهو ابن رجل قضى سنوات من عمره في معسكر الاعتقال النازي في أوشفيتز، وامرأة سلخت جزءاً من عمرها في معسكر آخر هو ماجدوفيك، ناهيك عن أنه سليل أسرة أبيد العديد من أفرادها في معسكرات النازية. ومع ذلك، قال: لا شيءٍ أحقر من استغلال معاناة آبائي لتبرير جرائم التعذيب التي ترتكبها إسرائيل ضدّ الفلسطينيين، والوحشيّة التي تمارس عليهم. مضيفاً: إن من له قلب، عليه أن يوفِّر دموعه للبكاءِ على الفلسطينيين.
تحلّ الآن الذكرى الثانية والستون لـ "نكبة فلسطين". وإذا كانت عيون الضحيّة الحقيقيّة قد جفّت من الدمع عبر سنوات النفى والتشريد، فإن ذاكرة الفلسطيني العادي، غير المعني بالمفاوضات المباشرة وغير المباشرة، لم تضمر أو يصيبها الذبول، وهي مسألة هامّة على جبهة معركة الذاكرة والنسيان التي تخاض بين الطرفين. ولكن، في حين تخوض إسرائيل معركتها بمنهجيّة وعمل مؤسسي ضخم، فإن الفلسطينيين يخوضونها بتوريث الذاكرة التلقائي جيلاً بعد جيل، مُسقطين المقولة الإسرائيلية الساذجة التي تختزل التاريخ والمستقبل بأن كبار السّن من الفلسطينيين سيموتون وأن صغارهم سينسون، الأمر الذي سيتكفّل بطيّ صفحة "النكبة" إلى الأبد!
ربما يكون قسطنطين زريق هو المفكّر العربي الذي كان أوّل من أطلق على ما حلّ بالشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨ تعبير "النكبة"، فدرج على الألسن وفي الكتابات والمؤلفات التي خاضت في قراءة الحدث التاريخي التحولي الانقلابي ومحاولة فهمه وتحليله. ثمّ شكّلت المفردة عنواناً لمؤلّف ضخم للمؤرخ الفلسطيني عارف العارف حول الموضوع. إلاّ أن المؤرخ الإسرائيلي، الموضوعي والشجاع، البروفيسور إيلان بابه، رأى في كتابه الهام "التطهير العرقي في فلسطين"، أن كلمة "النكبة" تبقى قاصرة عن التعبير عمّا حدث آنذاك من جرائم ارتكبتها إسرائيل ضدّ الإنسانيّة. فـ "النكبة"، هي وفق بابه: "تعبير مراوغ يحيل إلى الكارثة نفسها أكثر مما يحيل إلى من أوقعها". وقد أدى مثل هذا الأمر إلى تغييب حقيقة أن ما حدث كان "تطهيراً عرقياً" وليس مجرّد "نكبة" مجهولة الفاعل وغير محدِّدة المسؤول، شبيهة بما ينطبق على الكوارث الطبيعيّة التي تتحمّل الطبيعة مسؤوليتها، كالزلازل والبراكين. وبذلك يكون مصطلح "النكبة" قد أعفى إسرائيل، ضمنياً، وإن بحسن نيّة، من مسؤوليتها التاريخيّة عن جرائم الإبادة والتطهير والتهجير التي ارتكبتها.
مهما يكن، وحتّى نتحرّر تماماً من مصطلح "النكبة"، ينبغي مواصلة معاركنا على جبهة الذاكرة، على المستويات السياسيّة والثقافيّة، ومواصلة تصليب الرواية الفلسطينيّة حول ما حدث عام ١٩٤٨.
فإسرائيل تخوض معركة الذاكرة مستندة إلى استراتيجيّة مزدوجة: المحو والإحلال. فهي إذ تُدرك أن رهانها على محو ذاكرة الفلسطيني هو في حكم المستحيل، فقد عملت، بما أوتيت من قدرة على الإزالة، على محو معالم المكان الفلسطيني وملامحه الأصيلة، علّ إزالة الجغرافيا وتبديد ملامحها تزيل معها حقائق التاريخ.
وعلى الجانب الآخر من الجبهة، فإنها تطمس المأساة التي ألحقتها بالشعب الفلسطيني، بإحياءِ مأساتها هي، عبر تجديد وإعادة سرد رواية الهولوكوست، ليظهر الجلاد الإسرائيلي في صورة الضحيّة!
رغم الفوارق الجذريّة العديدة بين نكبتنا ونكبتهم، بين هولوكوست النازيّة وتطهيرها العرقي ضدّ اليهود، الذي تُحتِّم علينا مبادئنا وقيمنا وأخلاقنا إدانته دون تردد، إلاّ أن فارقاً واحداً يجدر بنا التشديد عليه. فنكبتهم هي من صناعة آخر عنصري نازيّ بغيض، فيما نكبتنا هي من صنعهم هم أنفسهم. فنحن إذاً ضحيّة من كانوا ضحيّة غيرنا.
قبل عقدٍ ونيِّف، وبمناسبة الذكرى الخمسين للنكبة الفلسطينيّة (التي لم تكن الطبيعة بالتأكيد هي المسؤولة عنها، بل الإسرائيليون أنفسهم)، قدّم الراحل محمود درويش مبادرة سياسيّة - ثقافيّة لم تجد لدى الإسرائيليين آذاناً صاغية، حين رأى أن "واجبنا الأخلاقي" يقتضي منّا قبول الرواية الإسرائيليّة عن الهولوكوست كما هي، وأن نرفع درجة تعاطفنا مع الضحايا، دون أن نبيح لأنفسنا حقّ النقاش حول الجانب الإحصائي للجريمة. وقد استتبع شاعرنا الراحل مبادرته تلك، بالتوقيع على بيانٍ شاركه فيه عدد من المثقفين العرب، وطالبوا من خلاله إلغاءِ مؤتمر المؤرخين المراجعين للهولوكوست الذي كان يجري الإعداد لعقده في بيروت في ربيع ٢٠٠١، وقد اختلفنا مع الموقعين في حينه، وعلى التوجه بقبول رواية الهولوكوست الإسرائيليّة وإحصائياتها، على اعتبار أن المحرقة هي واقعة تاريخيّة قابلة للحوار والبحث التاريخي والدراسة العلميّة، وليست نصّاً دينياً مقدساً يقتضي عدم المساس بروايته الجاهزة، وبأرقامها التي لا تشوبها شائبة!؟
التشكيك بالجانب الإحصائي لجريمة الهولوكوست قاد روجيه غارودي إلى الوقوف خلف القضبان في بلد الحريّة والديمقراطيّة، إلاّ أنه، في الوقت نفسه، دفع نورمان فنكلشتاين إلى تقديم إحصائيات أخرى تتعلّق بـ "صناعة الهولوكوست" الاستغلاليّة، التي استثمرت مسألة إنسانيّة وحولتها إلى قضيّة ربحيّة، تقف خلفها آلة إسرائيليّة - أميركيّة ضخمة، قوامها: مئة مؤسسة معنيّة بشؤون المحرقة في الولايات المتحدة الأميركيّة وحدها، وسبعة متاحف عن الهولوكوست هناك، وأربعة أجزاءٍ ضخمة لدائرة معارف الهولوكوست، إلى جانب أعداد لا تحصى من الأفلام والكتب والمقررات الجامعيّة والمدرسيّة.
ويبقى أن نذكر أن الفارق الأساسي بين نكبتنا ونكبتهم، هو كالفارق بين دموع بشر عانوا المأساة حقيقة، إقتلاعاً وتشريداً، وبين سائل مالح مُصنّع يذرفه من تسببوا في تلك "النكبة"!
إن ما جرى ويجري في فلسطين، ليس بعيداً أو مستقلاً عن الحقائق والأرقام التي أوردها فنكشتاين، ما يجعل مهمّة دحض رواياتهم للوقائع التاريخيّة كلّها، بلا استثناء، والتصدى لإحصائياتهم المصنّعة، عملاً ثقافياً وسياسياً فلسطينياً بامتياز. فحقائق التاريخ لا تمحوها مؤسسات التزييف.. ولا أنهار من دموع التماسيح!.

ويبقى أن نذكر أن الفارق الأساسي بين نكبتنا ونكبتهم، هو كالفارق بين دموع بشر عانوا المأساة حقيقة، إقتلاعاً وتشريداً، وبين سائل مالح مُصنّع يذرفه من تسببوا في تلك "النكبة"!

«أيّار» شهرُ النكبتين

باسل عبد العال

يأتي أيار حاملا لنا ذكرى نكبتين جرحين مفتوحين امام العالم والتاريخ هما نكبة مخيم نهر البارد ونكبة فلسطين ربما تتشابه الصور في رموزيتها والألم واحد في المعنى ، يكرر التاريخ ذاته مثلما تتغير معالم الأمكنة وسير الوقت من ساعة الى أخرى من هنا وفي مثل هذه الأيام وقعت جريمة العصر على يد الاحتلال الصهيوني الطاغي على الأرض والانسان حيث أُخرجْنا من ارضنا بالقوة الى حيث لا نعلم إلى جهة الريح حيث المنافي والشتات ولاغتراب المر بين ضياع الحاضر وآلام المستقبل والغرق في بحيرات الوعود الطويلة و المضللة فمنا من تشرد في داخل الوطن في مخيمات مبعثرة هنا وهناك ومنا من تشرد في أنحاءِ العالم ..... هي النكبة الأولى والوجع الانساني المستمر في ضمير العالم وما تبعها من نكبات وحروب ونزوح ومعاناة إبن الأرض النازفة ، أرض الحقائق وأرض الأحلام التي تنمو داخلنا من خارجها حيث كنا فأحلامنا تسير في طريقها الرحب ، فمنذ تلك المرحلة وما تبعها من مراحل في رحلة المسيح الفلسطيني في درب آلامه ومع استمرار الوعود بالحلول ووقف النزيف ، ربما يتشابه الزمن في حكايا النكبة ففي نكبة مخيم نهر البارد (٢٠ ايار) حيث وقعت حرب وتبعثرت الذاكرة في منحدرات الركام في الشهر ذاته التي وقعت به النكبة الاولى في مشهدٍ تراجيدي دمويٍّ فلسطيني التكوين والملامح بين هنا وهناك إنطلقت سهام الأسئلة الى عمق الخاصرة في مجتمعنا الممزق ، ما الفرق بين النكبتين ؟؟ الى أي منفى تسحبنا الريح ؟ وهل تبقى منفى غير ذاك الذي كان او ذاك الذي غاب ؟؟؟ ياتي ايار وتنهض الاسئلة الموعودة بالأجوبة وبين الوعدين لا تزال القضية هي القضية في مخيم مدفون في ترابه وبين وطن مدفون في آلامهً وشعب معلقٌ على أرجوحةً الوعودً والكلام المنمق ، هكذا نتذكر أيار في ظلامه ، نتذكر أيّار على ايقاع موسيقى الموت وايقاع موسيقى الرصاص ، ماذا نسمّيك ؟؟ فكم قسوة علينا يا ابن الذكريات السوداءِ ، يمتزج الشعور في الاحتراق وكل الأشياءِ من حولنا تبكي ويبكي البحر من النافذة التي اخترقتها قذيفة مرّت بيننا ، ولأنك أيّار لم نتفاجئ ..... إتسع الجرح فينا وما تبقى لنا غير مفتاح نسميه الأمل ، والأمل حكمة الصابرين الصامدين بروحهم ، هكذا في حياتنا القلقة نبحث في تفاصيلك عن خميةً أخرى جاهزة للاحتمالات الآتية ، وهل تبقى من خميةً فارغة لنكبة آتية؟؟ ربما هو المنفى في وصفه ، المنفى انتظار الباخرة على شاطئٍ بعيد، ونقول لشهر أيّار وصلت ولم تصل الباخرةً بعدً ؟؟ لم يتحقق الحلم بعد ، لم نطأ أرض كنعان بعد ، تأخّرت باخرة الوعد المنتظر والعودة المقدسة والشمس المشرقة في فجرها الجديد.

سهرة اممية

رشاد أبوشاور

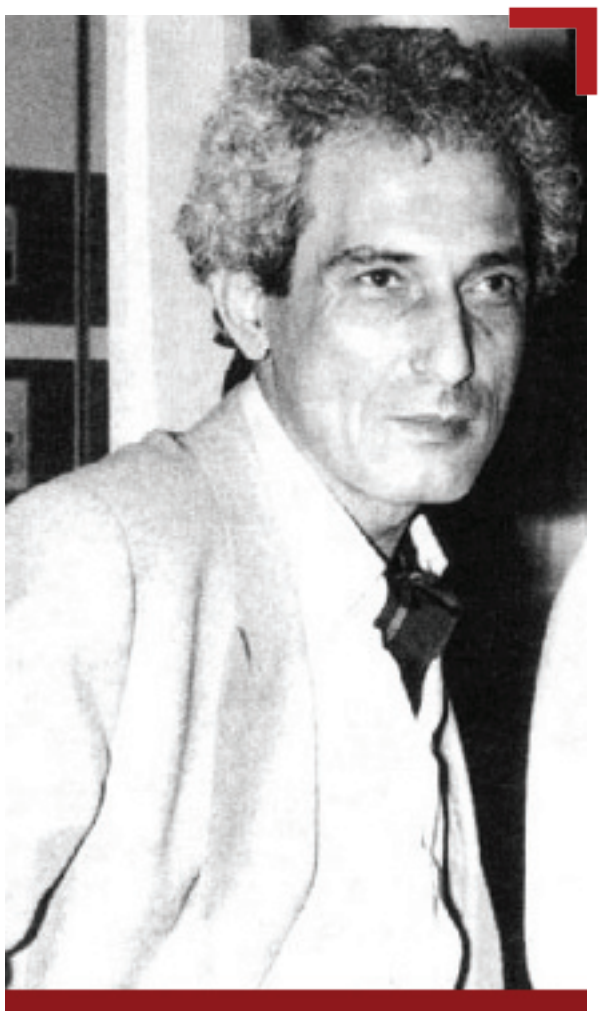

لا أتذكّر متى تعرّفت إليه، ومن عرّفني به، لكنني التقيته كثيرا في الفاكهاني، في عشاءات (على الضيّق) كما كان بعض الأصدقاءِ رفاقا وزملاءِ يصفون تلك الدعوات، حتى لا تلوص الأمور، فننحرم من تبادل الحديث براحتنا.

عندما زارنا في الفاكهاني الشاعر عليم كوشاكوف، صاحب قصيدة ' الخنجورة' الملحميّة، حضر(صديقنا) ابن لومومبا، وهكذا التقينا في العشاءِ(على الضيّق): شاعر سوفييتي ـ قوقازي، وأفريقي والده رمز حركات التحرر الأفريقيّة المغدور ، وصديقنا الهندي الأحمر ـ وهو ليس أحمر تماما، فهو بلون تراب تربته خصبة مرويّة بالماءِ تختزن في ذرّاتها معادن تخصبها..يمكن وصف لونه بالنحاسي.

إلى السهرة حضر فهد الأردني ـ شيوعي سابق، يرفض أن يوصف بهذا الوصف، وإن ترك صفوف الحزب بسبب عدم الجديّة في تطوير قوّات الأنصار الفدائيّة ـ وناجي العلي، وممثّل فلسطين في موسكو العميد محمد الشاعر، وصديقنا الداعي لهذا العشاءِ طلعت يعقوب القليل الكلام والودود.

وطبعا فهكذا سهرة لا تكون أمميّة من دون (فودكا) مبرّدة يحضرها (الرفيق) أبو العلاءِ، الذي يردد الكلمة الروسية: تفارش..مع كل نخب يرفعه.

ناجي ركّز نظراته على ملامح ابن لومومبا، ونقّل نظراته بين وجهه ووجه صديقنا الهندي الأحمر الذي لم نكن نسأله عن اسمه، أو المنطقة التي جاءِ منها في تلك البلاد: أمريكا.

العشاءِ على الضيّق اتسع رويدا رويدا، حتى ضاقت الصالة الفسيحة بالمتسربين بدعوات جانبيّة، وبوافدين لم يدعهم أحد، ولكنهم لا يفوتون فرصة سهرة أمميّة كهذه.

في السهرة اقترحت أن نخاطب ابن لومومبا بالكلمة الروسية تفارش ـ مستأذنا الرفيق أبا العلاءِ ـ التي تعني (رفيق).

خاطبته بما يشبه الهمس وأنا أقدّم له حزّ تفّاح:

ـ تفارش...

هو درس في جامعة (باتريس لومومبا) في موسكو، التي حملت اسم والده تخليدا لنضاله، وفتحت أبوابها للقادمين من العالم الثالث، والذين ترسلهم في منح حركات التحرر في بلدانهم، ويلتقي فيها أبناءِ القّارات الثلاث: آسيا، أفريقيا، أمريكا اللاتينيّة.

عليم كوشاكوف نهض بناءِ على طلب من العميد الذي خاطبه بالروسيّة، وصفّق له فتبعناه في التصفيق، وانقطعت الأحاديث الجانبيّة بيننا استعدادا لسماع مقاطع من ' الخنجورة'.

العميد أخذ يترجم لنا مقطعا مقطعا بلغته الجميلة، ووجهه قد فاض سرورا بتجليات ' الخنجورة' التي يمكن أن تستخدم لأغراض متعددة متباينة...

شخصيّا كنت قرأت ترجمة ' الخنجورة' في طبعة عربيّة صدرت عن (دار التقدّم) في موسكو، وكالعادة عرضتها مكتبة الزهراءِ في دمشق في الواجهة مع مختارات لينين وماركس.

وجدتني أهمس لناجي:

ـ الخنجورة مثل الشبريّة عندنا في الريف. يغرسها الفلاّح في حزامه دفاعا عن النفس. ويخفيها اللص عن الأنظار لتكون أداة عدوان. قد تعبّر عن الرجولة والجسارة، وقد...

لكزني العميد في ركبتي وقد اتسعت ابتسامته، فهو سعيد بهذه السهرة على شرف شاعر سوفييتي صديق، بما تعنيه، وبحضور عدد لا بأس به من كتّاب وفناني فلسطين، وبحضور شخصيتين أمميتين: ابن لومومبا، وصاحبنا الهندي الأحمر.

قال لي بوّد:

ـ لا تشاغب...

دوّى صوت القذائف فارتّجت الشقّة التي نتعشّى فيها في الدور الحادي عشر قبالة كليّة الهندسة، فالحرب لا تتوقف على المحاور بين القوات الوطنيّة المتحالفة مع الثورة الفلسطينيّة، والقوّات الانعزالية.

خرج العميد إلى الشرفة، غاب قليلاً ثمّ عاد وابتسامته المطمئنة على وجهه:

ـ القصف من بيروت الشرقيّة...

وموجها كلامه للشاعر كوشاكوف، الذي استأنف إلقاءِ قصيدته الملحميّة، بعد أن ذكّر بأنه ينتمي لبلد خاض غمار الحرب العالمية الكبرى و..هزم النازية، ولاحقها حتى برلين.

هنا وقف صديقنا طلعت ورفع كأس الاتحاد السوفييتي الصديق والشاعر كوشاكوف، فتدفقت الحماسة في الساهرين الذين رفعوا نخب الأمميّة التي تجمعنا بابن رمز كفاح أفريقيا، وبأخينا الهندي الأحمر الذي تريد أمريكا والصهيونيّة جعل مصيرنا كمصير شعبه وأرضه.

توهجت الحمرة في تقاطيع وجه عليم كوشاكوف، الذي أخذ يهزّ قبضته مع تصاعد دوي القصف حول البناءِ، وجسده المعبر عن الصلابة يتمايل موحيا بما تفعله الخنجورة في يد المقهور الممتلئ غضبا وشجاعة.

ازداد القصف ضراوة.

ناجي خطط ملامح ابن لومومبا، والهندي الأحمر، والخنجورة، على الصفحة الخلفيّة الكبيرة لملصق شهيد.

رفع الرسمة وأخذ يتأملها، ثمّ عاد وضرب بالقلم الأسود ضربات سريعة، ومدّ خطوطا، ثمّ نهض وفرد الرسمة على الطاولة التي أفرغت من الصحون والكؤوس، وأعلن:

ـ سهرة طيبة..انبسطت ..بدّي أروّح على صيدا..على (عين الحلوة).

العميد حذّره بحرص:

ـ يا ناجي الطريق خطر في هذا الوقت. هناك كمائن يهودية على الطريق. انتظر شويّة حتى تطلع الشمس .. مش كل يوم بيطلع عندنا فنّان مثلك!

أنا بلهجة العارف:

ـ يا سيادة العميد: ناجي لا ينام خارج صيدا، وعين الحلوة...حاولنا معه دائما، ولكنه عنيد.

أخذه العميد بين ذراعيه، وقبّل رأسه:

ـ فنّان أصيل..ابن الشعب فعلاً ...

ثمّ قال كلاما بالروسيّة لعليم كوشاكوف الذي سرّته الخطوط التي رسمها ناجي، والتي تظهر فيها ملامحه وبيده خنجورته، وابن لومومبا، والهندي الأحمر.

العميد قال لناجي:

ـ يرجوك كوشاكوف أن توقّع له على اللوحة، وتكتب كلمة ..ويطلب منك أن تزورهم في موسكو.

انحنى ناجي بظهره المحدودب. وقّع على الصورة، وكتب تحتها:

' يا صديقنا كوشاكوف:..نحن نرسم ونكتب بأقلام كخنجورتك'.

في غبش الفجر غادر ناجي في سيّارته، وتفرّقنا نحن في الفاكهاني، بينما كان دوي رشاشات ثقيلة يتجاوب في الفجر الرمادي البارد...

سألت أبا العلاءِ:

ـ كيف تجمع تفارش بالروسيّة يا أبا العلاءِ؟

ضرب على جبينه:

ـ آخ ..لو سألتني أثناءِ السهرة لاستفسرت من السيّد العميد، أو من رفيقنا كوشا..كوف .

توقف وأمسك بكتفي وهو يتمايل :

ـ الزيارة القادمة إلى موسكو أحضر لك فودكا سليشنايا، و..جمع تفارش .. يا تفاااارر..اش..أولغا..سا..تعلمني جم..جمع..ها..

وكرر(ها) مع اسم أولغا، وكأنه يزفر من وجع فراق، ولوعة شوق!

ربّتّ على كتفه مهدهدا وجعه الذي أعرف سببه:

ـ هيّا بنا يا تفارش، فالقصف يحمل موتا يترصدنا، وأولغا لن يسرها أن تسمع بموتك المجاني في بيروت..هيّا يا تفارش، هيّا...

عن القدس العربي

ـ يرجوك كوشاكوف أن توقّع له على اللوحة، وتكتب كلمة ..ويطلب منك أن تزورهم في موسكو. انحنى ناجي بظهره المحدودب. وقّع على الصورة، وكتب تحتها: ' يا صديقنا كوشاكوف:..نحن نرسم ونكتب بأقلام كخنجورتك'.

متل ما بحكي معك..

يكتبها: علاء أبو دياب

برشلونة ومدريد وفتح واليسار وحماس.

كل ما بسمع واحد من ريال مدريد بيحكي عن يأسه من تحسن الريال مع أنو ما ضل لاعب الاّ واشترى- يعني على شوي وبجيبو كابتن ماجد يلعب معهم-.. وبعترف هذا المشجع الموضوعي بفشل استراتيجية شراءِ ولاءِ اللاعبين واستمالة قلوبهم.. وعن قصر نظر مدربهم وجهازهم الفني.. و بمقابل كل قناعاته هاي ما بقدرهذا الشخص يشجع حدا تاني مع التأكيد المتواصل على التاريخ العريق للريال .. بحس وكأني بسمع حدا بحكي عن فتح!!

رح يهاجمني حدا ويقول عيب بتقارن ثوّار بلاعبين كرة .. اكيد مش هذا قصدي .. انا بقصد الحالة ا لسيا سية و ا لحز بية ا لفتحا و ية مقارنة بالحالة ا لر يا ضية لأخوانّا في ريال مدريد!! واقتضى التنويه انّي هون بحكي عن مدريد البلد مش المخيم×!! عشان ما حدا ينعش قضية اللاجئين على حسابي !! بلاش أطلع انا اللي مخرب سياسة الهاءِ الشعب الفلسطيني بموضوع المستوطنات ولا شيءِ غير المستوطنات مع انو الاسرائيليين بالعادةً بهدّوها لحالهم وهمّه طالعين!!

مش عارف شو اللي وصلنا لهون بس شكلها هاي سوسة في كل فلسطيني إنو يدخّل السياسة في كل اشي!! وكمحاولة لآني ارجع لموضوع الرياضة بدي أقول (زدناها وأطلعنا رجلها) يعني شو قصتكم مع برشلونة وريال مدريد!! أنو منتخب فلسطين (فرع الضفة) لما يلعب على(استاد فيصل الحسيني بالقدس)×× ما بنهتم هلقد!! يا عالم للأسرى ما بتطلع مسيرة ولبرشلونة وريال مدريد بعد الكلاسيكو بتطلع وبتكون ضخمة لدرجة بتضطر السلطة الوطنية «مشكورة» تنزللنا قوات مكافحة الشغب يربونّا!! وأنا بهاي المناسبه بطالب بتشكيل جهاز أمني جديد لهيك أحداث يكون اسمه جهاز الامن الرياضي ويكون مدعوم من الفيفا ومرتبط مباشرة بمعالي وزير الرياضة والشباب.. يعني بصراحة زمان ما شكلنا جهاز أمني جديد وانا شايفها حجة منيحة ولازم نستغلها..

برضو سياسة!! طيب نرجع لموضوعنا.. عنجد يا عالم إنو كتير هيك!! ماشي شجع فريق بس فش داعي نقسم البلد ريال وبرشلونة!! نسوان اطّلقت عشان اخوانها ريالية!! موظف انطرد من شغله عشانه برشلوني!! بيانات من الجناح العسكري لرابطة مشجعين برشلونة في قطاع غزة!! قصف ناحال عوز رداً على خروج الريال من كأس الملك !! يمكن انتو بتشوفوا الموضوع بسيط بس تنسوش احنا شعب مولعه معو من ١٩١٩م والانتفاضة عنده زي قولة مرحبا!! بكره بليلة ما فيها ضو قمر بتلاقي واحد برشلوني مفجر حاله في قهوة مدريديه!! بحجة (من رأى منكم منكراً فليغيره)!! اه ولاّ شو مفكرين عنّا روح رياضية؟ أهلين...عنّا يا روح ما بعدك روح !!

اذا أمي صارت تسألني يعني مين همّه هادول برشلونة ومدريد؟! ومادام امي دخلت بالموضوع يبقى أكيد الموضوع كبير وبلزمه دراسة عميقة للابعاد الاجتماعية والنفسية وبهالمناسبة انا بقترح نفتح اكم من مؤسسة (إن جي أوز) جداد لبحث هاي الظاهرة وربطها بالاحتلال وأثاره وأقامة ورشات عمل بحضور خبراءِ اجانب (طبعا الاتحاد الاوروبي واليو أس أيد رح يغطوا التكاليف ما يكونلكم فكر) يعني هاي كمان فرصة لازم يستغلها اليسار الفلسطيني المقاتل.. بصراحة مش كل يو في هيك فرصة!! هاي الظاهرة بالراحة بتفتح عشانها شي عشرين (ان جي أوز) على إمتداد بواقي الوطن! وخود عاد أكم رفيق ببطلوا عاطلين عن العمل.. وكل واحد بناضل من موقعه طبعاً .. وناضل يلي بتناضل..

من هنا وبعد اللي حكينا أنا بميل لانو الماسونية والصهيونية العالمية همّه اللي عملوا هادول الفريقين بمخطط سري إتخططله في العاصمة السويسرية جنيف سنة ١٨٧٩م××× أتفقو فيه على اختراع كرة القدم وتشكيل ريال مدريد وبرشلونة من اجل الهاءِ الشباب المسلم وضرب الامة الاسلامية من الداخل بواسطة خلافها الكروي والدليل على كلامي انو مؤسس فريق برشلونة سويسري!!! ها بانت الحقيقة !! الحمد لله اني موجود أكشف هالمخطط (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) صدق الله العظيم.

وعليه انا اهيب بعلماءِ الامه تحريم كرة القدم واقامة القصاص على من يضبط مشجعا لاحد فرق الشيطان تلك.. وأرجو على التنفيذية متابعة تطبيق الفتوى الرشيده في غزه ، اما الفلسطينيه الباقيين بالعالم فمن هون لتجيكم التنفيذية منّو لربو الواحد فيكم!!

نهاية انا كتير انبسطت انّا حكينا بشي غير السياسة !!! فش بعد الرياضة !!!! وعلى فكره انا وزعت حلو لما برشلونة غلب ريال مدريد!!

× في الضفة الغربية وقطاع غزة اغلب المخيمات على اسم المدن أو البلدات القريبة مثلاً في جنين البلد (المدينة) وفي جنين المخيم ، واحنا هون بنحكي عن مدريد البلد مش مدريد المخيم.

×× (استاد فيصل الحسيني بالقدس) مش بالقدس !! وفي بينو وبين القدس جدار ..ما تخلّو حدا يضحك عليكم عشانكم مش قادرين تيجو هون!! الملعب اللي همه بسمّو «استاد» مكانه بالرام اللي هي ضاحية بين القدس ورام الله.. واذا بتطير الطابة وبتنزل بالقدس ولا عطوفة رئيس الوفد المفاوض ما بقدر يدخل يجيبها.

××× كل الفقره الاخيرة من وحي خيالي إلا اذا احد هالمشايخ قرر إنَو في منو هالحكي فَساعتها رح أضطر اكذب الكذبة وانصدقها كلنا..

alaa.abudiab@gmail.com

كيروا في بحصعا وأرجاء الحية

كولاج الفنون «الأخيرة» - سمر حزبون